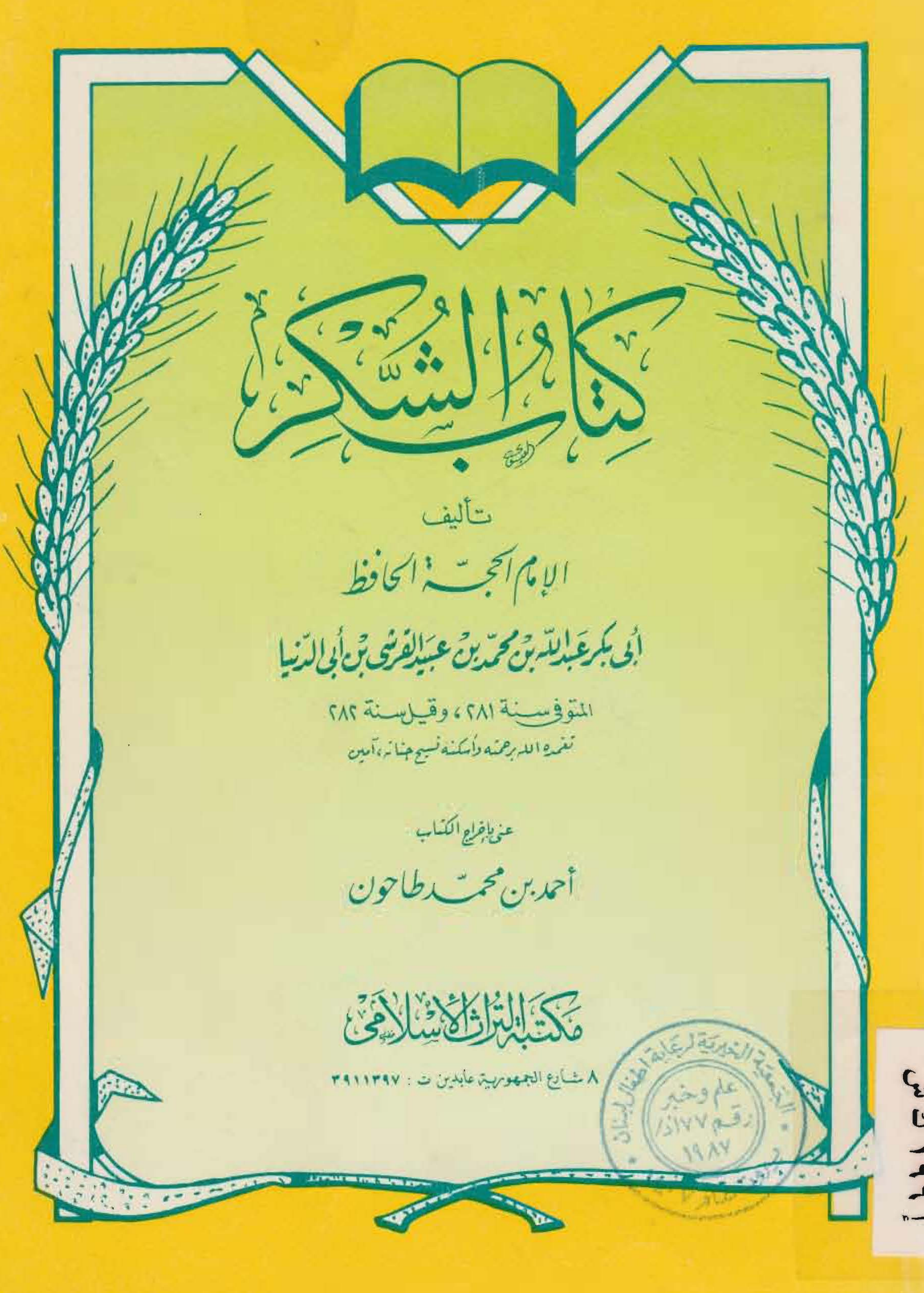


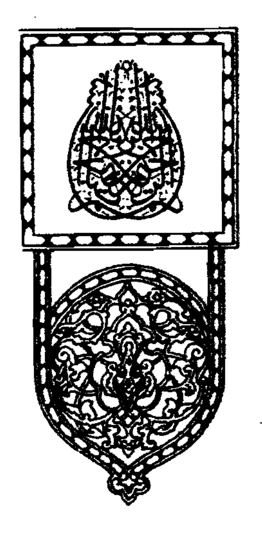
كتاب الشكر
تأليف
الإمام الحجة الحافظ
أبى بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشى بن أبى الدنيا
المتوفى سنة ٢٨١، وقيل سنة ٢٨٢
تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته، آمين
عنى بإخراج الكتاب
أحمد بن محمد طاحون
مكتبة التراث الإسلامى
٨ شارع الجمهورية عابدين ت : ٣٩١١٣٩٧

كتاب الشكر

تأليف
الإمام الحجة الحافظ
أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي بن أبي الدنيا
المتوفى سنة ٢٨١، وقيل سنة ٢٨٢
تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته، آمين

عني بإخراج الكتاب
أحمد بن محمد طاحون

مكتبة التراث الإسلامي
٨ شارع الجمهورية عابدين ت : ٣٩١١٣٩٧



الطبعة الأولى	١٣٩٨ من الهجرة ١٩٧٨ من الميلاد
الطبعة الثانية	١٤٠٤ من الهجرة ١٩٨٣ من الميلاد
الطبعة الثالثة	١٤٠٥ من الهجرة ١٩٨٤ من الميلاد
الطبعة الرابعة	١٤١٤ من الهجرة ١٩٩٤ من الميلاد



مكتبة التراث الإسلامي

٨ شارع الجمهورية عابدين القاهرة ت : ٣٩١١٣٩٧ فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

كتاب الشكر

لأبى بكر بن أبى الدنيا*

رواية أبى بكر بن سلمان بن الحسن النجاد عنه رواية أبى القاسم عبدالرحمن بن عبيدالله بن عبدالله الحرقى عنه: أرويه عن السيد عمر بن أحمد بن عقيل عن خاله عبدالله بن سالم البصرى عن الشمس محمد بن العلاء الحافظ عن النور على بن شمس أخبرنا الجمال يوسف بن زكريا والشهاب أحمد بن محمد بن حمزة قال الأول: أخبرنا والدى وقال الثانى: أخبرنا البرهان إبراهيم بن العلاء القلقشندى قالا أخبرنا الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى أخبرنا أبوإسحاق البغلى بسنده وكتب محمد بن محمد بن محمد الربعى الحسينى عفا الله عنه.**

---

* النسخة التى نقلنا عنها هى التى طبعت فى القاهرة لأول مرة فى عام ١٣٤٩ من الهجرة.

** هذه مقدمة كتاب الشكر لابن أبى الدنيا.

الجديد فى هذه الطبعة

الحمد لله والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد: فهذه طبعة جديدة لكتاب الشكر حرصت على إخراجها مراعيا فيها ما يلى:

١ ـ اختصار السند أو حُذفه أحيانا اختصارا لوقت القارئ.

٢ ـ وضْع هوامش لتفسير المفردات وبعض العبارات والتعليق عندما تقضى ضرورة بذلك.

٣ ـ وضْع مقدمة للتعريف بالمؤلف وبعصره وأسباب ظهور كتب الوعظ وأدب الزهد والعناية بترقيق القلوب منذ العصر العباسى.

٤ ـ ضبط المفردات والعناية بالشكل.

٥ ـ وضع العناوين الكثيرة التى يراها القارئ تسهيلا للمراجعة وتنبيها إلى الأفكار الجزئية ولفتاً إلى المعانى المتضَمَّنة.

٦ ـ إضافة فصل تحت عنوان (فصل فى الحمد والشكر).

٧ ـ يا رب (ابتهالات).

٨ ـ تذييله بكلمة فى (شكر الله).

أسأل الله عز وجل أن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم.

وصلى الله على الحبيب الهادى وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين صلاة وسلاما دائمين إلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

أحمد بن محمد طاحون

عام ١٣٩٨ من الهجرة ١٩٧٨ من الميلاد

تقـــديم :

أ ـ المؤلف :

هو الإمام الحجة الحافظ أبوبكر عبدالله بن محمد بن عبيد القرشى بن أبى الدنيا، من علماء القرن الثالث الهجرى ـ التاسع الميلادى ـ كان مولده فى بغداد عام ٨٢٣ من الميلاد.

وابن أبى الدنيا كان أديبا واشتغل بالوعظ وألف أكثر من مائة وخمسين كتابا، يضم معظمها أخبارا ترمى إلى الحض على حسن التخلق مثل:

- (كتاب الشكر) .
- (الفرج بعد الشدة) .
- (مكارم الأخلاق) .
- (قصر الأمل) (اليقين) وغيرها، وأدب الخليفتين المعتضد والمكتفى وقد وافته منيته فى بغداد عام ٨٩٤ من الميلاد ٢٨١ من الهجرة. تغمده الله برحمته وغفرله.

ب ـ لمحة عن عصره :

فى القرن الثالث الهجرىِّ كانت بغدادُ عروسَ الحضارة، وزينةَ الدنيا، وكعبةَ العلوم والمعارفِ، إليها تُشَدُّ الرحالُ طلبا للعلم وإرواءً للظمأ ومنها تسطَعُ شمسُ الثقافة فتنتشر أشعتُها حانيةً لتضىءَ للمُدْلِجين، ولتنيرَ المسالكَ للحائرين، فقد نضجتْ الـمَلَكَةُ العربيةُ واستوَى عودُها وآتت ثمارَها، بفضل الإسلام، وعلى نورٍ من هدايةِ القرآن، ولم تحجُبْ هذه المَلَكَةُ نفسَها عن مصادر الحياةِ من حولها، بل مدَّتْ جذورَها شرقا وغربا تمتصُّ عناصرَ الغذاءِ الجيدِ، وتنفى الخبثَ حتى اتسمتْ ثقافاتُ اليونانِ والفرسِ والهندِ بصِبْغةٍ إسلاميةٍ فى استقامةِ الفكر بفضلِ العقول

التى صقلها القرآنُ وهذَّبها الإسلامُ فَقَبِلتْ الصالحَ من حضاراتِ الْغابرين وعلومِهم، وأَقامَتْ المعوجَّ، وأصلحتْ الفاسدَ، ونفتْ ما لا خيرَ فيه، وبيَّنت زيْغَ ما لا يُرْجَى صلاحُه.

فى هذه الفترةِ الثريةِ الخصبةِ ظهر علماءُ وأدباءُ وفلاسفةٌ ما زال التاريخُ يلهثُ وراء ما خلَّفوه ليبرزَ جواهرَه للأجيال جيلا بعد جيل.

الناس فى ذاك العصر :

كان العلم والأدبُ والمعرفةُ شغلَهم الشاغلَ وحلبَةَ سباقِهم، وغايةَ طموحهم، وزينةَ حياتهم، وبهجةَ مجالِسهم، وقرَّةَ عيونِهم، فعَمَرَتْ المساجدُ بطلاب العلِم وكثرت المدارسُ والمكتباتُ، وازدانت القصورُ والدورُ بالمكتبات العامرةِ، وكثر الارتحالُ لطلبِ علمٍ أو البحثِ عن نسخة من كتابٍ واشتد التنافسُ بين المشرق والمغرب فى الحصول على الكتاب فورَ الفراغِ من نَسْخِهِ، وصار للكتابِ سوقٌ رائجةٌ، وفى بعض الحواضِرِ الإسلامية كانت الكتبُ تباع بالمزاد حيث يتنافسُ المنتجعون فى الحصولِ عليها منهم من يُزَايد رغبةً فى العلم ومنهم من يبذل بسخاء طلبا للزينة وسعيا وراءَ المباهاة، لأن الكتبَ صارت زينةَ حياتهم وميدانَ تفاخُرِهم.

وفى هذا العصرِ امتزجتْ المدنياتُ وانتقلتْ إلى المجتمعِ عوائدُ غريبةٌ عن طبعِه بفضل الحريةِ التى مُنِحَهَا الناسُ، فأقبل مَنْ أقبلَ على الدنيا ومجالسِ أنسِها ولهوِها، وظهر زنادِقَةٌ، وغَرِقَ فى لُجَجِ المُجُونِ أقوامٌ، فانبرَى لذلك تيارٌ فكرىٌّ وعقائدىٌّ مضادٌّ ينبِّهُ الغافلين، ويُمْسِكُ بِتَلَابيبِ الشاردين يردُّهم إلى الصراط السوىِّ ويزيِّنُ لهم الفضيلةَ، ويدعو مجتمعا أقبلتْ عليه الدنيا ببهجتها وأنْسِها وتَرفِها ونعيمِها إلى شكْرِ المنْعِمِ، وعدمِ الغفلةِ عن ذكرِه، فكَثُرَ أدبُ الزهدِ والوعظِ والقصص من ذلك (كتاب الشكر) الذى نقدمه لقراء عصرِنا بعد أن توالتْ على تأليفه وجَمْعِ نصوصه قرونٌ ولكن الناسَ ما زالوا فى حاجة إلى ما يلْفِتهم إلى تقدير النعمة حقَّ قدرِها، ليؤدوا شكرَها، ولا يكفروا بها.

جـ - كتاب الشكر :

والكتابُ الذى نقدمُه صغيرُ الحجم ولكنه عظيمُ الفائدةِ نبيلُ المقصدِ والغايةِ جمع أحاديثَ نبويةً شريفةً، وعباراتٍ بليغةً، ولفتاتٍ بارعةً، ومواعظَ وحكمًا، اعتمد المؤلفُ فى عرضها على الروايةِ والسندِ دون ترتيبٍ أو تبويبٍ، ولكنه فيما يبدو كان يُمليها حسبما تصلُ إليه ولم يكن من غرضِه ترتيبُ المعانى أو تسلسلُ الأفكارِ.

وقد رُؤى عند تقديم الكتابِ للقراء أن نراعِى ظروفَ عصرنا حيث الناسُ مُعْجَلون عن التأنِّى، ولا يرغبون فى إطالةِ النظرِ فى السندِ لهذا تَمَّ اختصارُ السند أوحذفه - أحيانا - ثم وضع عناوين تيسيرا على القارئُ ولِلَفْتِهِ إلى المعانى الجزئية تسهيلا للمراجعةِ مع عملِ بعضِ الهوامشِ وتفسيرٍ للمفرداتِ.

نسأل الله تعالى أن ينفعنا بما نعلم وأن يعيننا على شكره وذكره وحسن عبادته وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أحمد بن محمد طاحون

جمادى الثانية عام ١٣٩٨ هـ

مايو عام ١٩٧٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ زدني علماً وحفظاً وفهماً [1]

---

١ ـ هذا الدعاء أول جملة فى الأصل بعد البسملة.

شكر[1] المنعم واجب :

عن عبدِالملك بن زرارةَ، عن أنسِ بنِ مالك رضى الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: (ما أنعمَ اللهُ عزّ وجلّ على عبد نعمةً فى أهلٍ أو مالٍ أو ولدٍ فيقول: ما شاء اللهُ لا قوةَ إلا بالله، فيرى فيه آفةً[2] دونَ الموتِ).

عن الزهرى عن عروةَ عن عائشةَ رضى الله عنها قالت:

دخل عليَّ النبيُّ ﷺ فرأى كِسْرةً مُلقَاة، فمسَحَها فقال:

(يا عائشةُ حسِّنى جوارَ نِعَمِ اللهِ عزَّ وجلّ، فإنها قلما نفرَتْ عن أهلِ بيتٍ، فكادَتْ أن تَرجِعَ إليهم)[3].

عن أبى زهير يحيى بن عطارد القرشى عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ:

(لا يرزق اللهُ عز وجل عبداً الشكر فيحرمه الزيادةَ لأن الله عز وجل يقول ﴿لِئن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنكُمْ﴾).

عن هشام بن عر[illegible][4] قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ: (اللهم أعنِّى على ذِكرِكَ، وشكرِكَ، وحُسنِ عبادتِك).

---

١ ـ (شكر) الشكر : الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف وقد شكره يشكره شكرا، وشكرانا أيضا، ويقال شكره وشكر له وهو باللام أفصح، والشكران ضد الكفران، وتشكر له مثل شكر له (مختار الصحاح). والشكر نقيضه الكفران، والشكر إما بالقلب بأن يعتقد اتصاف المنعم بصفات الكمال وأنه ولى النعمة، وإما باللسان بأن يثنى عليه بلسانه، واما بالجوارح بأن يُدئب نفسه فى طاعته وانقياده.

٢ ـ آفة : عاهة، وكل ما يصيب شيئا فيفسده من عاهة أو مرض أو قحط، يقال: آفة العلم النسيان، وقد إيف الزرع ـ بالبناء للمجهول ـ أى أصابته آفة فهو مؤوف بوزن معوف.

٣ ـ فى الحديث الشريف توجيه كريم نحو حفظ النعمة الحفظ الملائم لها وصيانتها للانتفاع بها عند الحاجة اليها وهذا ما نأخذه من معنى (حسنى جوار نعم الله) وفى فعل الرسول صلى الله عليه وسلم بالكسرة ثم توجيهه أم المؤمنين ما يرشدنا نحو تقدير كل مايمكن أن نحتاج اليه أو يحتاج اليه غيرنا وذلك بصونه وعدم امتهانه وذلك لان النعمة قل أن تعود الى أهل بيت اذا حرموا منها بسبب عدم تقديرهم اياها أو فعل مايدل على كفرهم بها، فما اعظم هذا التوجيه النبوى الحكيم!.

كلَّف الله عباده الشكر على قدرهم :

عن أبي الجلد قال: قرأتُ في مسألة داودَ ـ عليه السلام ـ أنه قال (أىْ ربِّ، كيف لى أن أشكُرَكَ، وإنى لا أَصِلُ إلى شكرِكَ إلا بنعمتِك؟ قال: فأتاه الوحى، أن يا داودُ أليس تعلمُ أن الذى بك من النعم منى؟ قال: بلى يا ربى، قال: فإنى أرضى بذلك منك شكرا).

عن أبي الجلد قال: قرأتُ في مسألةِ موسى ـ عليه السلام ـ أنه قال: (يا ربِّ، كيف أن أشكرَك، وأصغرُ نعمةٍ[1] وضعتَها عندى من نعمكِ لا يُجازِى بها عملى كلُّه، قال: فأتاه الوحْىُ، أن يا موسى الآن شكرتَنى).

حدَّثنا عبد العزيز بن بحر أنا أبو عقيل عن بكر بن عبدالله قال: سمعته يقول: (ما قال عبدٌ قط: الحمد لله[2]، إلا وجبتْ عليه نعمةٌ بقوله الحمدُ لله، فما جزاءُ تلك النعمةِ؟. جزاؤها أن يقولَ: الحمدُ لله، فحازَ نعمةً أخرى، ولا تنفد نِعَمُ اللهِ عز وجل).

قال سليمان التيمى: إن اللهَ أنعم على العبادِ على قدرِه وكلَّفهم الشكرَ على قدرِهم.

الإسلام أعظم نعمة :

عن أبي الأشهب عن الحسن قال: سمِع نبىُّ اللهِ ﷺ رجلا يقول: الحمدُ لله بالإسلام فقال: (إنك لَتَحْمَدُ اللهَ على نعمةٍ عظيمةٍ).

عن ثور بن خالد بن معْدان قال: سمعتُ عبد الملك بن مروان يقول: (ما قال

---

١ ـ النعمة: اليد والصنيعة والمنة. وما أنعم به من رزق ومال وغيره والحال الحسنة وكذا النعمى والنعماء مثله.

٢ ـ الحمد: الثناء بالجميل ويكون باللسان وهو احدى شعب الشكر ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: (الحمد رأس الشكر ماشكر اللهَ عبدٌ لم يحمده) وانما جعله رأس الشكر لأن ذكر النعمة باللسان، والثناء على موليها أشيع لها وأدل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب كما أن النطق يُفصح عن كل خفى، ويجلي كل مشتبه، والحمد نقيضه الذم.

عبدٌ كلمةً أحبَّ إليه وأبلغَ فى الشكرِ عنده من أن يقولَ: الحمد لله الذى أنعم علينا وهدانا للإسلام).

حدَّث عبد المؤمن بن عبيد الله السدوسى أبو عبيدة قال: كان الحسنُ يقول إذا ابتدأ حديثَه:

(الحمدُ لله، اللهم ربَّنا لكَ الحمدُ كما خلقتَنا، ورزقتَنا، وهديتَنا، وعلمتَنا، وأنقذتَنا، وفرَّجْت عنا، لك الحمد بالإسلام والقرآنِ، ولك الحمد بالأهلِ والمالِ والمعافاةِ، كبَتَّ[1] عدوَّنا، وبسطْتَ[2] رزقَنا، وأظهرتَ أمتنا، وجمَّعت فُرْقَتَنا، وأحسنْتَ معافاتِنا، ومن كلٍّ ـ واللهِ ـ ما سألناك ربَّنا أعطيتنا، فلك الحمدُ على ذلك حمدا كثيرا، لك الحمدُ بكل نعمةٍ أنعمتَ بها علينا فى قديمٍ وحديثٍ، أو سرٍّ أو علانيةٍ، أو خاصةٍ أو عامةٍ، أو حى أو ميت، أو شاهدٍ أو غائبٍ، لك الحمدُ حتى تَرضى، ولك الحمد إذا رَضيتَ).

الإقرار بالنعمة والشكر عليها :

عن الحسن ـ رضى الله عنه ـ قال موسى ـ عليه السلام ـ يا ربِّ، كيف يستطيعُ آدمُ أن يؤدى شكرَ ما صنعتَه إليه: خلقتَه بيديك، ونفختَ فيه من روحك، وأسكنتَه جنتَك وأمرتَ الملائكة فسجدوا له؟

فقال : يا موسى، علم أن ذلك منى، فحمدنى عليه فكان ذلك شكرًا لما صنعتُ إليه.

عن الأصبغ بن نباتة قال : كان علىٌّ إذا دخل الخلاءَ قال : (باسم الله الحافظِ المؤذِّى، وإذا خرج مسح بيديه بطنَه ثم قال: يا لها من نعمةٍ لو يعلم العباد شكرَها).

عن سعد بن مسعود الثقفى قال: (إنما سُمى نوحٌ عليه السلام عبدا شكورا لأنه لم يلبس جديدا، ولم يأكل طعاما إلا حمِد اللهَ تعالى).

---

١ ـ كبتّ عدونا : أى صرفته عنا وأذللته ، والكبت : الصرف والإذلال.

٢ ـ بسطتَ رزقنا : أى وسعت علينا وكثرت رزقنا ، والبسطة السعة.

عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرةَ قال: دعا رجل من الأنصارِ من أهل قباءَ النبيَّ ﷺ، فانطلقنا معه، فلما طعِمَ وغسل يده ـ أو قال يديه ـ قال:

(الحمدُ لله الذى يُطعِمُ ولا يُطعَم، مَنَّ علينا فهدانا، وأطعمنا وسقانا، وكل بالإحسان أتْلانا[1].

الحمد لله غير مودَّعٍ ربى ولا مكافأ ولا مكفور، ولا مُسْتغنى عنه. الحمدُ لله الذى أطعم من الطعام، وسقى من الشراب، وكسا من العُرْى، وهدى من الضلالة، وبصَّر من العَمَى، وفضَّلنا على كثير من خلقِه تفضيلا. الحمد لله ربِّ العالمين.

من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم :

عن ابن عباس رضى الله عنهما، أن النبى ﷺ كان يقول:

(اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتِك، وفجأةِ نِقْمتِك، وتحوُّلِ عافيتِك، وجميعِ سَخَطِك).

بالجحود تزول النعم :

عن المبارك عن الحسن قال: (إنَّ الله لَيُمَتِّعُ بالنعمة ما شاء، فإذَا لم يُشْكر قَلَبَها عليهم عذابا).

حدَّثنى محمدُ بن إدريس، قال: يُرْوى عن على أنه قال لرجل من همدان: (إنَّ النعمَةَ موصولةٌ بالشكرِ، والشكرُ معلقٌ بالمزيدِ، وهما مقرونان فى قرنٍ[2]، فلن ينقطعَ المزيدُ من الله حتى ينقطعَ الشكرُ من العبد).

شكر الجوارح :

قال مخلد بن حسين: كان يقال (الشكرُ تركُ المعاصى).

---

١ ـ أتلانا : أى أتبع إحسانه بإحسان ففضله علينا متتابع لا ينقطع.

٢ ـ من قرن الشىء بالشىء وصله به وبابه ضرب ونصر.

حدث بعض أهل الحجاز قال، قال أبو حازم: (كلُّ نعمةٍ لا تُقربُ من الله فهى بليَّةٌ)

عن عبد العزيز بن عمير قال سمعت أبا سليمان الواسطى يقول: ذِكْرُ النعمةِ يُورثُ الحبَّ للهِ عزَّ وَجلِ).

لتُسألُنَّ يومئذٍ عن النعيم :

عن أبى بردة قال: قدمتُ المدينة فلقيتُ عبد الله بن سلام، فقال لى: ألا تدخُل بيتا دخله رسولُ الله ﷺ ونُطعمك سَويقا وتمرا؟

ثم قال :

(إنَّ الله عز وجل إذا جمع الناسَ غدا ذَكَّرهم ما أنعم عليهم، فيقول العبدُ: بـآيةِ ماذا؟ فيقول: إنَّه ذاك، إنك كنتَ فى كُربة كذا وكذا، فدعوتَنى فكشفتُها عنك، وإنه ذاك، إنك كنتَ فى سفر كذا فاستصحبتَنى فصحِبتُك، قال: ويُذكِّره حتى يذْكُرَ، يقول: وإنه ذاك، إنكَ خطبتَ فلانةً بنتَ فلان وخطبها معك خطَّابٌ فزوَّجتُك ورددْتُهم).

عن أبى بردة عن عبدالله بن سلام: (إنَ الله عز وجل يُقْعِدُ عبدَه بين يديه، فيعدِّدُ عليه نعمَه) ـ هذا الحديث ـ فبكى ثم بكى ثم قال: إنى لأَرْجو أن لا يُقْعِدَ اللهُ عبدا بين يديه فيعذبَهُ.

مَا أعظمَ عفوَ الله ورحمته ؟ :

عن أنس بنِ مالكٍ رضِى الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: (يُؤْتَى بالنعم يومَ القيامةِ، والحسناتِ والسيئاتِ، فيقول اللهُ عز وجل لنعمةٍ من نِعَمِه خُذِى حقَّكِ من حسناتِه فما تتْرُكُ له حسنة إلا ذهبَتْ بها).

حدَّث الحسن فقال قال داود ـ عليه السلام ـ:

(إلهى لو أن لكل شعرةٍ منِّى لسانين يُسبحانك الليلَ والنهارَ، ما قضيتُ ـ حقَّ[1] ـ نعمةٍ من نعمك).

---

١ ـ حق : زيادة على الأصل.

احذروا الشيطان :

حدَّث عون بن موسى قال: سمعت بكرَ بن عبد الله المزنى يقول: (يَنْزِلُ بالعبدِ الأمرُ - أى المصيبة - فيدعو اللهَ عز وجل فيصرفُه عنه، فيأتيه الشيطانُ فيُضعف شكرَه فيقول: إنَّ الأمرَ كان أيسرَ مِمَّا تذهبُ إليه.

قال: أوَلاَ يقولُ العبدُ: كان الأمرُ بأشدَّ مِمَّا أذهبُ إليه، ولكنَّ اللهَ صرفه عنى).

بالشكر تدوم النعم :

حدَّث يزيد بن يزيدَ قال: سمعتُ عمرَ بنَ عبدِ العزيز يقول: (قيِّدوا النعمَ بشكرِ الله).

عن قتادَةَ عن مطرف بن عبد الله قال:

(لأَنْ أُعَافَى فَأشكر أحبُّ إلىَّ مِنْ أُبْتَلَى فأَصبر).

الشكر على التوفيق للطاعة :

حدث سفيان قال: رأى وهيب قوما يضحكون يوم الفطر، فقال:

(إنْ كان هؤلاء تُقُبِّل منهم صيامُهم فما هذا فعلُ الشاكرين).

(وإنْ كان هؤلاءِ لم يُتَقَبَّلْ منهم صيامُهم فما هذا فعلُ الخائفين)!.

الأوزاعى يعظ الناس :

(أيها الناسُ تقوَّوا بهذه النعمِ التى أصبحتُم فيها على الهرب من نارِ الله الموقَدة التى تطَّلع على الأفئدة فإنكم فى دارِ الثواءِ[1] فيها قليلٌ، وأنتم فيها مؤجَّلون خلائف[2] بعد القرون الذين استقبلوا من الدنيا آنَقَها[3] وزهْرتَها، فهم كانوا أطولَ

---

١ ـ الثواء : الإقامة، يقال : ثوى بالمكان أقام به يثوى ثواء وثويا.

٢ ـ خلائف : الخلف (بسكون اللام) القرن بعد القرن ويقال : هم خلف سوء وخلف صدق بالتحريك للفرق بينهما، وقال الأخفش : هما سواء.

٣ ـ آنقها : أحسنها، وشىء أنيق، أى حسن معجب.

منكم أعمارا وأمدَّ أجساما، وأعظمَ آثارا، فجردوا[1] الجبالَ، وجابوا[2] الصُخورَ ونقَّبوا[3] فى البلاد مُؤثرين[4] ببطش شديد، وأجسام كالعماد، فما لبثتْ الأيامُ والليالى أن طوت مدنَهم، وعفتْ آثارَهم[5] وأخْوَتْ[6] منازلَهم، وأنسَتْ ذِكْراهم، فما تُحسُّ منهم من أحد أو تَسْمَعُ لهم رِكْزاً[7] كانوا بِلَهْوِ الأملِ آمنين، لَبَيَاتُ قومٍ غافلين، ولَصَبَاحُ قومٍ نادمين.

ثم إنكم قد علمتم الذى نَزَلَ بساحتِهم بيَاتاً من عقوبةِ الله، فأصبح كثيرٌ منهم فى ديارهم جاثمين، وأصبح الباقون ينظرون فى آثارِ نعمةٍ وزوالِ نعمةٍ، ومساكنَ خاويةٍ فيها آيةٌ للذين يخافون العذابَ الأليمَ وعبرةٌ لمن يخشى، وأصبحتُم من بعدهم فى أجلٍ منقوص، ودنيا منقوصة، فى زمانٍ قد ولّى عفوُه، وذهب رجاؤُهُ، فلم يبقَ منه إلا حُمَةُ[8] شرٍّ، وصُبَابةُ[9] كدرٍ وأهاويلُ[10] عبدٍ، وعقوباتُ عبدٍ، وأرسالُ فتنٍ[11]، وتتابُعُ زلازلَ، ورُذالةُ[12] خَلْفٍ بهم ظهر الفسادُ فى البر والبحر، فلا تكونوا أشباها لمن خدعه الأَملُ وغرَّه طولُ الأَجل وتبلَّغَ بِالأَمانى[13].

نسأل الله أن يجعلَنا وإياكم مِمَّن وَعىَ نُذُرَهُ[14] فانتهى، وعقَلَ مسْرَاهُ فمهَّد لنفسه[15].

---

١ ـ جردوا : التجريد : التعرية من الثياب والتجرد : التعرى وتجرد للأمر : أى جد فيه.
٢ ـ جابوا : أى قطعوا والمجوب ـ بكسر الميم ـ حديدة يقطع بها.
٣ ـ نقبوا : أى ساروا فيها.
٤ ـ مؤثرين (والأثر بالتحريك ما يبقى من رسم الشىء) أى تاركين أثرا.
٥ ـ عفت آثارهم : أزالت ما تركوه وراءهم، يقال : عفت الريح المنزل أى درسته.
٦ ـ أخوت منازلهم : أسقطتها وخربتها، يقال خوت الدار خواء : أقوت أو سقطت.
٧ ـ الركز ـ بالكسر ـ : الصوت الخفى.
٨ ـ حمة شر : أى معظمه أو شدته، وحمة العقرب : سمها، وحمة الحر : معظمه.
٩ ـ الصبابة ـ بضم الصاد ـ : البقية من الماء فى الإناء.
١٠ ـ أهاويل : التهاويل التزايين جمع تهويل، والأهوال المخاوف جمع هول.
١١ ـ أرسال : جماعات أى فتن متتابعة من أنواع شتى.
١٢ ـ رذالة : رذال كل شىء رديئه والرذل الدون الخسيس.
١٣ ـ أى جعل الأمانى زاده إلى الآخرة دون عمل وجد فى الطاعة.
١٤ ـ اتعظ بما جرى لمن عصوا ربهم وكفروا النعمة من الأمم الماضية.
١٥ ـ أى عرف طريق النجاة وسلكه وقدم بين يديه عملا صالحا ينفعه.

الاستدراج[1] بالنعم :

عن عمر بن سعيد بن أبى حسين عن أبى حازم قال:

(إذا رأيتَ الله عز وجل سابغَ نعمِه عليك وأنت تعصيه، فاحذرْه).

عن عقبةَ بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ:

(إذا رأيتَ الله عز وجل يُعطِى العبادَ ما يشاءون على معاصيهم إياه فذلك استِدْراجٌ منه لهم).

خير الدنيا والآخرة فى أربع :

عن ابنِ عباس رضى الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ:

(أربعٌ مَنْ أُعْطِيهنَّ فقد أُعْطِىَ خيرَ الدنيا والآخرةِ:

- قلبٌ شاكر.
- ولسانٌ ذاكر.
- وبدنٌ على البلاء صابر.
- وزوجةٌ لا تبغيه خِوَناً[2] فى نفسها ولا مالِه).

وإن من شىء إلا يسبح بحمده :

عن صدقةَ بن يسار قال:

(بينما داودُ ـ عليه السلام ـ فى محرابه إذْ مَرَّتْ به دودة[3] فنظر إليهَا، وفكَّر فى خلْقِها، وعجِبَ منها، وقال: ما بعث اللّهُ بهذه؟

قال: فأنطقها اللّهُ، فقالت: يا داودُ، أتُعجبك نفسُك؟

فوالذى نفسى بيده، لأنا على ما آتانى الله من فضله أشْكَرُ منك على ما آتاك الله من فضله).

---

١ ـ استدرج الله العبد : أمهله ولم يباغته وفى التنزيل العزيز : (سنستدرجهم من حيث لايعلمون).

٢ ـ خان فلان الشىء : خونا وخيانة ومخانة : نقصه، يقال : خان الحق، وخان العهد وفيه والأمانة : لم يؤدها أو بعضها. وخان فلانا : غدر به والوصف خائن وخائنة (بتاء المبالغة) وجمعه : خانة وخوان، وخونة.

٣ ـ فى الأصل درة وأظنه تصحيف.

حدّث خالد بن مخدوج أبو روح قال: سمعت أنسَ بنَ مالك يقول: (إنَّ داودَ نبيَّ الله ظنَّ فى نفسه أن أحدا بما علمَه خالقُه أفضل[1] مِمَّا مدحه!! وإنَّ مَلَكًا نزل وهو قاعدٌ فى المحرابِ والبِرْكةُ إلى جنْبه فقال: يا داود، افهَمْ إلى ما تُصوِّته الضفدعُ؟ فأنصتَ فإذا الضفدعُ يمدحه - أى يُثْنِى على خالقه - بمدحةٍ لم يمدحْه بها داودُ، فقال له الملَك: كيف ترى يا داود؟ أفهمتَ ما قالت؟ قال فماذا قالت، قال[2]:(سبحانك وبحمدك مُنتَهى علمِك يارب) قال داود: والذى جعلنى نبيَّه إنى لم أمدحه بهذا).

من صور الحمد:

حدَّث سفيان بن سعيد أن نبيَّ الله داودَ عليه السلام قال:

(الحمدُ لله حمداً كما ينبغى لكرَمِ وجه ربى عز جلاله، فأوحى الله إليه: يا داودُ أتعبتَ الملائكة).

النبى يدعو له ثم يُعرض عنه:

عن إسحقَ بنِ عبدالله بن أبى طلحة: أن رجلا كان يأتى النبيَّ ﷺ فيسلم عليه فيقول النبى: (كيف أصبحت؟) فيقول الرجل: (إليك أحمدُ الله) أو (أحمدُ اللّهَ إليك)، فكان النبى ﷺ وسلم يدعو له، فجاء يوما فقال له النبى ﷺ: (كيف أنت يا فلان؟) قال: بخيرٍ إن شكرت، فسكتَ النبى ﷺ، فقال الرجل: يا رسولَ اللّهِ، كنتَ تسألنى فتدعو لى، وإنك سألتَنى اليومَ فلم تدْعُ لى؟.

قال: (إنى كنتُ أسألك فتشكر اللّهَ، وإنى سألتُك اليومَ فشككتَ فى الشكر).

من الشكر ذكر الله:

عن عبدِ الله بن سلام أن موسى عليه السلام قال: (يا ربِّ، ما الشكرُ الذى ينبغى لك؟ قال: ياموسى ألا يزالُ لسانُك رطْباً من ذِكرى؟).

---

١ - أى فى ثنائه على خالقه: والمقصود - والله أعلم - أن أحدا فى ثنائه على الله عز وجل أفضل فى قوله من ثناء داود على الله بما علمه وأوحى به إليه.

٢ - أى قال الملك مخبرا داود عن تسبيح الضفدع.

نعم تستوجب الشكر :

عن يونس بن عبيد قال: قال رجل لأبي تميمة:

كيف أصبحتَ؟ قال: أصبحتُ بين نعمتين لا أدرى أيهما أفضل: ذنوبٌ ستَرها الله فلا يستطيع أن يُعيرنى بها أحد، ومودّةٌ قذفها اللّهُ فى قلوب العباد لم يبلغها عملى.

من دعاء على بن حسين بمنى :

كم من نعمة أنعمتَها علىّ قلّ لك عندها شكرى!.

وكم من بلية ابتليتنى بها قلّ لك عندها صبرى!.

فيا مَن قلّ شكرى عند نعمته فلم يحرمنى، ويا مَن قلّ صبرى عند بلائه فلم يخذلنى، ويا مَن رآنى على الذنوب العظام فلم يفضحني ولم يهتك سترى، ويإذا المعروف الذى لا ينقضى، ويإذا النعمة التى لاتحول[1] ولا تزول.

صَلِّ على محمد وعلى آل محمد واغفِرْ لنا وارحمنا.

لاينبغى مقابلة النعمة بالمعاصى :

عن مالك بن دينار قال: قرأتُ فى بعض الكتب: أن الله يقول: يا ابنَ آدم خيرى ينزل إليك، وشرُّك يصعدُ إلىَّ، وأتحبَّب إليك بالنعمة وتتبغَّض إلىَّ بالمعاصى، ولا يزال ملَك كريمٌ قد عرج إلىَّ مِنك بعمل قبيح.

يا إلهى أنت الحليم الستار :

يا إلهى خيرُك إلىَّ نازلٌ، وشرِّى إليك صاعدٌ، وكم مَلَكٍ كريمٍ قد صعد إليك بعملٍ قبيح، أنت معَ غَنائِك[2] تتحبَّب إلىَّ بالنعم، وأنا مع فقرى إليك وفاقَتِي أتمقتُ إليك بالمعاصى، وأنت فى ذلك تُجيرنِي وتسترنى وترزقنى.

---

١ ـ لا تحول : أى لا تتغير يقال حال لونه، تغير أو لا تنقلب عن حالها يقال : حالت القوس أى انقلبت عن حالها واعوجت.

٢ ـ غنائك ـ بالفتح والمد : النفع.

كيف أصبحت يا أبا محمد؟

فكان المغيرة أبو محمدٍ يقول: أصبحنا مغْرَقين فى النعم، مُوقَرين[1] من الشكر يتحبَّب إلينا ربُّنا عز وجل وهو عنا غنىٌّ، ونتمقَّتُ[2] إليه ونحن إليه محتاجون.

رحمة الله سبقت غضبه :

قال عبدالله بن ثعلبة:

إلهى مِنْ كرمك أنك تُطاع فلا تُعصى، ومن حلمك أنك تُعصَى كأنك لا تَرى، وأيَّ زَمَنٍ لم يعْصِك فيه سكانُ أرضك فكنتَ ـ واللهِ ـ عليهم بالخير عوَّادا؟.

عفو الله وسعة فضله :

عن عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ عن النبى ﷺ قال:

ما أنعم اللّهُ على عبد نعمةً فعلِم أنها من عند اللهِ إلا كتب له شكرَها، وما علم اللهُ من عبد ندامةً على ذنبٍ إلاَّ غفر له قبل أن يستغفِره[3]، وإن الرجلَ ليشترى الثوبَ بالدينارِ، فيلبسُه فيحمدُ اللهَ فما يبلغ ركبتيه حتى يُغفَرَ له.

عند لبس الجديد :

حدَّث زياد بن عبدالله السعدى، سمعت معاوية بنَ قرةَ يقول:

منَ لبِس ثوبا جديدا فقال: (بسم الله والحمدُ لله) غُفِرَ له.

وعند الطعام والشراب :

وسمعته يقول: من أكل طعاما فقال: (بسم الله والحمد لله) غُفِرَ له.

ومن شرِب فقال (بسم الله والحمد لله) غُفِرَ له.

---

١ ـ وقر : الوقر بفتح الواو الثقل فى الأذن، وبكسرها الحمل وقد أوقر بعيره وأوقرت النخلة كثر حملها يقال نخلة موقرة والمعنى المقصود من (موقرين بالشكر) أى ما زلنا عاجزين عن الوفاء بواجب الشكر.

٢ ـ نتمقت إليه : أى نتبغض بالمعاصى مع شدة حاجتنا إليه سبحانه وتعالى.

٣ ـ هذا الحديث ورد برواية فيها (وما علم الله من عبد ندامة على ذنب إلا غفر الله له إن يستغفر).

الرزق يوجب الشكر :

حدّث عبد ربه بن عبدالله الفلسطينى عن هليل بن يزيدَ المدنى عن أنسِ بنِ مالك عن النبى ﷺ قال:

«ما مِن عبد توكّل بعبادةِ اللهِ إلا غرم[1] السموات والأرض - يعنى رزقَهُ- فجعله فى أيدى بنى آدمَ يعملونه حتى يدفعوه إليه، فإنِ العبدُ قَبِلَهُ أوْجَبَ عليه الشكرَ، وإنْ أباهُ وجد الغنىُّ الحميدُ عبادًا فقراءَ يأخذون رزقَه ويشكرون له».

إظهار النعمة فى غير اختيالٍ ولا إسراف :

عن رجاء العطاردى قال، خرج علينا عمرانُ بن حصين وعليه مطرف خزٍّ، لم نره عليه قبلُ ولا بعدُ، فقال: إن رسولَ الله ﷺ قال: (إذا أَنعمَ اللهُ على عبده نعمةً أُحَبَّ أنْ يَرَى أثَرَ نعمتِه على عبدِه).

عن عمرو بن سعيد عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال:
كلو واشربوا وتصدَّقوا فى غير مَخيلَةٍ[2] ولا سَرَفٍ[3]، فإنَّ اللَه عز وجل يُحِبُّ أن يرى أثَرَ نعمتهِ على عبده.

وعن الأحوص عن أبيه قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ وأنا قَشِفُ الهيئةِ.
فقال: هل لَكَ مالٌ؟ قلت: نعم، قال: من أَىِّ المَالِ؟.
قلتُ: من كلِّ المالِ، قد آتانى اللهُ من الإِبلِ والخيلِ والرقيقِ والغنم.
قال: فإِذَا آتاك اللهُ مالاً فَلْيُرَ عليك[4].

عن على بن زيد بن جدعان قال: قال رسول الله ﷺ: إن اللهَ يحب أن يَرى أثَرَ نعمتِه على عبدِه فى مأكله ومشربه.

---

١ - غرم : بمعنى ضمن.
٢ - مخيلة : تكبر يقال : خال فلان على فلان أى تكبر.
٣ - السرف : الإسراف وهو مجاوزة الحد يقال : أسرف فى ماله.
٤ - وورد بلفظ (فلير أثر نعمته عليك).

عن بكر بن عبدالله المزنى يرفعه قال: مَنْ أُعطى خيرا فرؤى عليه سُمِّى حبيبَ الله، محدّثا بنعمة الله، ومَنْ أُعطى خيرا فلم يُرَ عليه سُمِّىَ بَغِيضَ اللهِ معاديا لنعمة الله.

وكان الفضيل بن عياض يقول: «كان يقال من شكرِ النعمةِ أن تُحدث بها[1]».

وروى الشعبى عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «التحدثُ بالنعَم شكرٌ وتركُه كفرٌ، ومَنْ لا يشكر القليلَ لا يشكر الكثيرَ، ومَنْ لا يشكر الناسَ لا يشكر اللهَ والجماعةُ بركةٌ والفُرقة عذابٌ»[2].

الشكر على رفع الضرّ:

حدّث سفيان بنُ عيينةَ عن محمد بن سوقةَ قال: مررت مع عون بن عبدالله بالكوفة على قصر الحَجاج، فقلت: لو رأيتَ ما نزل بنا ههنا زمنَ الحَجّاج؟

فقال: مررتَ كأنك لم تَدْعُ إلى ضُرٍّ مسَّك، ارْجِعْ فاحمَدْ اللهَ واشْكرْه، ألم تسمع إلى قول الله عزّ وجلّ: ﴿كأن لم يدْعُنا إلى ضرٍّ مسَّه﴾.

بالشكر تزيد النعم:

قال فضيل بن عياض:

«من عرف نعمةَ الله بقلبِه، وحمده بلسانِه، لم يستتمَّ ذلك حتى يرى الزيادة»، يقول الله عز وجل: ﴿لئِن شكرتمْ لأزِيدَنَّكمْ﴾.

حدّث روحُ بنُ عوف عن الحسن قال: بلغنى أن اللهَ إذَا أنعم على قوم سألهم الشكرَ، فإذَا شكروه كان قادرا على أن يزيدهم، فإذَا كفروه كان قادراً على أن يقلبَ نعمتَه عليهم عذابا.

---

١ - قال تعالى من سورة الانشراح (وأما بنعمة ربك فحدث) أى انشر ما أنعم الله عليك بالشكر والثناء، والتحدث بنعم الله والاعتراف بها شكر. وينبغى أن يكون ذلك على سبيل التواضع وإظهار فضل الله ورحمته بلا خيلاء ولا إسراف.

٢ - الحديث كما فى تفسير القرطبى: من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعم شكر وتركه كفره، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب.

احذروا معاصى الله :

حدّث إبراهيم بنُ الأشعث قال: سمِعت الفضيلَ يقول:

قال الله عز وجل: (يا ابنَ آدمَ إذَا كنتَ تتقلبُ فى نِعمتى، وأنت تتقلبُ فى معصيتى، فاحذرْنِى لا أصرعكَ بين معاصيك. يا ابنَ آدمَ، اتَّقِنى، ونَمْ حيث شِئتَ).

منزلة الشكر :

عن المغيرةِ عن عامر قال:

«الشكرُ نصفُ الإيمان، والصبرُ نصفُ الإيمان، واليقينُ الإيمانُ كلُّه».

عن أيوب عن أبى قلابةَ قال:

«لا تضرُّكم دنيا إذَا شكرتُموها».

الكنود :

عن الحسنِ بن أبى الحسن: ﴿إنَّ الإنسَانَ لِرَبِّه لَكَنُود﴾ قال: يُعدِّدُ المصائبَ ويَنْسى النعمَ.

أنشدنا محمود الوراق فى ذلك:

يا أيها الظالمُ فى فعله والظلمُ مردودٌ على مَنْ ظَلَم
إلى متى أنت؟ وحتى متى تشكو المصيباتِ وتَنْسى النِّعم؟

قال مطرف بن عبدالله : «لأَن أُعافى وأشْكر أَحَبُّ إلىَّ من أن أُبْتلى فأَصْبر».

قال: فنظرتُ فى العافية والشكرِ فوجدتُ فيهما خيرَ الدنيا والآخرة.

الحمد والاستغفار :

حدّث محمد بنُ نشيط عن بكر ـ يعنى ابن عبدالله ـ أنه لحق حمَّالا عليه حِمْلُه وهو يقول:

«الحمدُ لله، أستغفرُ الله».

قال: فانتظرتُه حتى وضع ما على ظهره، وقلت له:
ما تُحْسِن غيرَ ذا؟
قال: بلى أُحْسِن خيرا كثيرا، أقرأ كتابَ الله عز وجل غير أن العبدَ بين نعمة وذنبٍ فأحمدُ الله على نعمائِه السابغةِ وأستغفره لذنوبى.
فقلت: الحمَّال أفقهُ من بكر.

دعاء:

حدث عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز قال:
ما قلّب عمرُ بنُ عبدالعزيز بصره على نعمة أنعم اللهُ بها عليه إلا قال: «اللهم إنى أعوذ بك أن أبدلَ نعمةً كفراً، أوْ أن أكفرهَا بعد معرفتها، أو أنساها فلا أُثْنى عليها».

ولا بشىء من نعمة ربنا نكذب:

عن نافع عن ابن عمر - رضى الله عنهم - أن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن، أو قُرِئَتْ عنده، فقال:
«ما لى أسمعُ الجنَّ خيرا منكم جوابا - لردها منكم[1]؟-».
ما أتيتُ على قول الله عز وجل ﴿ فبأى آلاءِ ربِّكُما تُكَذِّبان؟ ﴾ إلا قالت الجنُّ: «ولا بشىء من نعمةِ ربِّنا نكذِّبُ».

عن جابر بن عبدالله[2] رضى الله عنه قال: لما قرأ رسولُ الله ﷺ سورةَ الرحمن على أصحابه، قال حين فرغ منها:

---

١ - جملة ما لى أسمع الجن . . الخ يبدو أن فيها حذفا والمعنى يستقيم فى نص الحديث الذى رواه الترمذى عن جابر رضى الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا، فقال : (لقد قرأتها على الجن ليلة الجن، فكانوا أحسن مردودا منكم) كنت كلما أتيت على قوله (فبأى آلاء ربكما تكذبان) قالوا : لا بشىء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد، قال : حديث حسن غريب.

٢ - رواية الحاكم.

مالى أراكم سكوتا؟ . لَلْجِنُّ كانوا أحسَنَ منكم ردًّا ما قرأتُ عليهم من مرة ﴿فبأىِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبان؟﴾ إلا قالوا:
«ولا بشىءٍ من نعمِك ربَّنا نكذب» قال: ولا أعلَمُه إلا قال «فلك الحمد».

ينعم برحمته :

عن جابر عن أبى جعفر قال: كان رسول الله ﷺ إذا شربَ الماءَ قال: «الحمد لله الذى جعله عذْبا فُراتا[1] برحمته، ولم يجعلْه مِلْحا أُجَاجًا[2] بذنوبنا».

عن عمر بن شبرمة: أن الحسن كان يقول ذلك إذا شرب الماء.

هل يفى عملنا بشكر الماء البارد؟

حدث روح بن القاسم:

أن رجلا من أهله تَنسَّكَ[3]، فقال: لا آكُلُ الخبِيصَ[4] أو الفالُوذَجَ[5] لا أقوم بشكره.

قال : فلقيتُ الحسن، فقلت له فى ذلك فقال الحسن: هذا إنسان أحمق! وهل يقوم بشكرِ الماء البارد؟.

التوفيق للطاعة داعية المزيد منها :

عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال:

قام النبى ﷺ حتى انتفخَتْ قدماه، فقيل له، يا نبىَّ اللهِ تُكَلَّفُ هذا وقد غُفِرَ لك؟

قال «أفلا أكونُ عبدا شكورا؟».

---

١ ـ الفرات : الماء العذب.
٢ ـ ماء أجاج : أى ملح مر، وقد أج الماء يؤج أجوجا.
٣ ـ تنسك : النسك : العبادة، والناسك العابد، وقد نسك ينسك بالضم وتنسك أى تعبّد.
٤ ـ الخبيص : الحلواء المخبوصة من التمر والسمن وجمعه أخبصه، وخبصه خبصا : خلطه.
٥ ـ الفالوذج أو الفالوذ : حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل وتصنع الآن من النشاء والماء والسكر ـ معربة.

آل داود :

أخبر مزاحم بنُ زفر عن مسعر قال: لما قيل لهم[1] : ﴿اعْمَلُوا آلَ داودَ شُكرًا[2] ﴾ .

قال: «لم تأتِ على القوم ساعةٌ إلا وفيهم مصلٍّ».

عند لبس الجديد :

عن أبى أمامة: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ لبس قميصا فلما بلغ ترقُوَتَه[3] قال: الحمدُ لله الذى كسانى ما أُوارى به عورتى، وأتجمَّلُ به فى حياتى، ثم مد يده، فنظر إلى كل شىءٍ يزيدُ على بدنِه فقطعه ثم أنشأ يحدِّث : سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: مَنْ لبس ثوبا ـ أحسبه قال جديدا ـ فقال حين يبلُغُ ترقوتَه ـ أو قال قبل أن يبلغ ترقوته ـ مثل ذلك[4] ثم عَمَدَ[5] إلى ثوبه الخَلَق[6] فكساه مسكينا، لم يزلْ فى جوار اللهِ وفى ذمة اللهِ وفى كنَفِ اللهِ[7] حيا وميتا، حيا وميتا، حيا وميتا ـ ثلاثا ـ ما بقى من الثوب شِلْوٌ[8].

قال قابيش[9] : فقلت لعبيد الله : منْ أىِّ الثوبين؟ قال: لا أدرى.

عن عون عن عبدالله قال: لبس رجل قميصا جديدا فحمِدَ الله فغفر له.

فقال رجل: لا أرجعُ حتى أشترىَ قميصا جديدا، وألبسَهُ، وأحمدَ اللهَ، قال مسعر: يرجو الثوابَ بذلك.

---

١ ـ أى لآل داود.

٢ ـ سورة سبأ.

٣ ـ الترقوة : العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق تكون للناس وغيرهم وهما ترقوتان والجمع التراقى.

٤ ـ أى مثل الذى قاله عمر حين لبس الجديد وهو (الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى حياتى).

٥ ـ عمد إلى ثوبه : قصده.

٦ ـ الخلق : البالى ـ القديم.

٧ ـ كنف : الكنف : جانب الشىء وكنف الله : رحمته وستره وحفظه.

٨ ـ الشلو : القطعه.

٩ ـ كذا ـ فى الأصل.

المعافاة والشكر :

عن عون عن عبد الله قال، قال بعض الفقهاء: إنّى روَّأتُ[1] فى أمرى فلم أرَ خيرا لا شرَّ معه إلا المعافاة[2] والشكر ، فَرُبَّ شاكرٍ فى بلاءٍ ، وربَّ مُعافىً غير شاكر ، فإذا سألتم الله عز وجل فسلوهما جميعاً.

الأمانة نعمة :

عن معمر عن أيوب قال:

« إن من نعم اللهِ على العبد أن يكونَ مأموناً على ما جاء به ».

وجوه النعمة فى المصيبة :

عن سعيد بن عبد العزيز قال، قال شريح :

« ما أُصِيبَ عبدٌ بمصيبة إلا كان لله عليه فيها ثلاثُ نِعَمٍ ».

- أن لا تكونَ كانت فى دينه.
- أن لا تكونَ أعظمَ مما كانت.
- وأنها لابدَّ كائنةٌ فقد كانت.

حدث عبد الله بنُ المبارك، عن سفيان قال كان يقال:

ليس بفقيهٍ مَنْ لم يَعدَّ البلاءَ نعمةً والرخاءَ مصيبةً.

أنشدنى محمودُ الوراق:

إذا كان شكرى نعمةَ اللّهِ نعمةً
علىَّ وفى أمثالِها يجبُ الشكرُ
فكيف وقوعُ الشكرِ إلا بفضلِه
وإن طالت الأيامُ واتَّصلَ العمرُ

---

١ ـ روّأ فى الأمر تروئة وترويئا نظر فيه وتعقبه ولم يعجل، والاسم الروية بترك همزتها.

٢ ـ المعافاة : يقال : عافاه الله معافاة وعفاء وعافية : أبرأه من الغلل وأصحه.

إذا مُسَّ بالسراءِ عمَّ سرورُها
وإنْ مُسَّ بالضراءِ أعقبهَا الأجرُ
ولا منهما إلا له فيه منَّةٌ
تضيقُ بها الأوهَامُ والبرُّ والبحرُ

عن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ[1] : «إن المؤمنَ عندى بمنزلة كلِّ خيرٍ يحمدني وأنا أنزعُ نفسَه من بين جنبيه».

قال أعرابي: الحمد لله الذى لايُحْمَد على المكروه غيره.

دعاء مريض بالحمى :

قال عباية أبو غسان: حُـمِمْتُ بنيسابور فانطبقَتْ عليّ الحُمىَّ فدعوتُ بهذا الدعاء:

«إلهى كلما أنعمتَ عليَّ نعمةً قلَّ عندها شكرى، وكلما ابتليتَني ببليةٍ قلَّ عندها صبرى، فيا مَنْ قلَّ شكرى عند نعمِه فلم يخذُلنْى، ويا منْ قلَّ عند بلائه صبرى فلم يعاقبْنى، ويامنْ رآني على المعاصي فلم يفضحْنى، اكشِفْ ضُرِّى».. قال فذهبتْ عنى[2] .

قال زياد:

(إن مما يجب لله على ذى النعمةِ بحق بعثَهُ ألَّا يتوصلَ بها إلى معصيته)[3]

مر محمد بن المنكدر بشاب يقاوم امرأةً فقال:

يا بنيَّ ماهذا أجرُ أنعُمِ اللّهِ عليك؟[4] .

---

١ - حديث قدسى.

٢ - أى فارقته الحمى بسبب هذا الدعاء، يقول الرسول ﷺ: (الدعاء سلاح المؤمن ونور السموات والأرض).

٣ - المراد من العبارة - والله أعلم - إن النعمة على العبد ينبغى أن تكون باعثة له على الطاعة وألا تكون باعثا له على أن يجعلها وسيلة إلى معصية الله فيجلب على نفسه غضبه.

٤ - أى ليس هذا شكر نعمة الله عليك بالصحة وغيرها أن تستخدمها في معاصيه.

رجـــاء :

قال رفيع أبو العالية:

إنى لأرجو أن لا يهلكَ عبدٌ بين اثنتين: نعمة[1] يحمد الله عليها وذنب يستغفر منه.

الحجة فى النعمة :

كتب ابنُ السماك إلى محمد بن الحسن حين ولى القضاء بالرقة:

«أمّا بعدُ، فلتكنْ التقوى من بالِك على كلِّ حال، وخف اللّهَ فى كل نعمةٍ عليك، لقلةِ الشكر عليها مع المعصيةِ بها. فإن فى النعمةِ حجةً، وفيها تبعة، فأما الحجةُ فيها فالمعصيةُ بها. وأما التبعةُ فيها فقلةُ الشكرِ عليها، فعفا اللّهُ عنك كلما ضيعتَ من شكر، أو ركبتَ من ذنب، أو قصرتَ من حقٍ»[2].

لماذا تبكى ؟

مر الربيع بن أبى راشد برجل به زَمانَةٌ[3] فجلس يحمد اللّهَ ويبكى، فمر به رجلٌ فقال: ما يُبكيكَ رحمكَ الله؟ فقال: ذكرتُ أهلَ الجنة وأهلَ النار، فشبهتُ أهلَ الجنةِ بأهلِ العافيةِ، وأهلَ النارِ بأهل البلاء.

فذلك الذى أبكانى!!

لتقدير النعمة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ:

«إذا أحبَّ أحدُكم أن يعلمَ قدرَ نعمةِ الله عليه فلينظرْ إلى مَنْ هو تحته، ولا ينظرْ إلى مَنْ هو فوقه»(*).

---

١ - يجوز الجر على أنها بدل جزء من اثنتين والرفع على الاستئناف وحذف المبتدأ أى هما.

٢ - قصرت من حق: أى لم يعط الطاعة حقها الواجب لها كاملا.

٣ - الزمانة مرض يدوم (أى لا يرجى برؤه).

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إذا نظر أحدكم إلى من فُضِّل عليه فى المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه).

قال أبو الدرداء:

«مَنْ لَمْ يعرفْ نعمةَ اللّهِ تعالى عليه إلا فى مطعمه ومشربه فقد قلَّ علمُه وحضر عذابُه».

كيف أنت ؟

عن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال: سمعت عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ سلّم على رجل، فرد عليه الرجل السلام، فقال عمر للرجل: كيف أنت؟.

قال الرجل: أحمدُ الله إليك، قال عمر: هذه أردتُ منك.

عن علقمةَ بن مرثد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: «لعلنا نلتقى فى اليوم مرارا نسأل بعضنا ببعض، وأن نتقربَ بذلك إلا لنحمدَ الله»[1].

أعظم النعم:

عن ابن أبى نجيح عن مجاهد: ﴿وأسبَغَ عليكمْ نِعَمَهُ ظاهرَةً وباطنةً﴾.

قال: «لا إلـهَ إلا الله»[2].

حدّث إسحاقُ بن إبراهيم سمعت سفيان بن عيينة قال:

«ما أنعم اللّهُ على العباد نعمةً أفضلَ من أن عرَّفهم: أن لا إلـه إلا الله، قال:

وأن لا إلـه إلا الله لهم فى الآخرة كالماء فى الدنيا.

---

١ ـ هذا لفظ العبارة فى الكتاب ولعل فيها تحريفا فى اللفظ والمقصود: أن الواحد منهم كان يلقى إخوانه مرارا فى اليوم فيسأل بعضهم بعضا عن أحواله؟ ليجيب (بحمد الله) فيتقربون (بالحمد) إلى الله تعالى.

٢ ـ أى إن كلمة التوحيد هى النعمة الظاهرة والباطنة لأنها اعتقاد بالقلب ونطق باللسان فمن وفق للإيمان الصحيح فقد حاز أعظم النعم.

موعظة للتذكير :

حدّث عبد الرحمن بن عون الجرشى سمعتُ عبدَ الله بن محمد الشرعبى يقول: ـ وهو على المنبر ـ وقد نظر إلى الناس قد صبروا وحَمِدُوا واشتَرَوْا شراءً، ولبسوا ما قُبِلَ عليهم فقال: «يا حسنَاهُ، ويا جَمَالاهُ بعد العَدَمِ والحتَام من الأدْم[1] والحوتَكِيَّة البُرود[2] ـ وهى ثياب تصنع فى اليمن ليس لها عرض ـ أصبحتم زَهْرًا[3]، وأصبح الناس غُبْراً[4]، وأصبح الناس ينسجون وأنتم تلبسون، وأصبح الناسُ يُنْتَجُون وأنتم تركبون، وأصبح الناس يزرعون وأنتم تأكلون».

فبكى وأبكاهم.

حدَّثَ سليم بن عامر، سمعت عبد الله بن قرط الأردنى وكان من أصحاب النبى ﷺ وهو يقول على المنبر فى يوم أضحى أو فطر ورأى على الناس ألوانَ الثياب فقال: «يا لها من نعمة!! ما أسبَغَها! ويا لها من كرامة! ما أظهرَها! وإنه مازالَ عن جادَّةِ قومٍ شىءٌ أشدُّ عليهم من نعمةٍ لايستطيعون ردها، وإنما تثبتُ النعمةُ بشكر المنعَمِ عليه المنعِمَ».

التوفيق لطاعة نعمة :

سُمع بكر بن عبد الله المزنى يقول:

ما قال عبد: الحمد لله إلا وجبت عليه نعمةٌ بقوله: الحمد لله، قال: فما

---

١ ـ الحتامة ما بقى من الطعام على المائدة، والإدام هو ما يستمرأ به الخبز جمعه أدم، وهو يشير إلى ما كانوا عليه قبل اتساع سلطانهم بالإسلام من ضيق العيش وقلة الطعام.

٢ ـ الحوتكية البرود: ثياب تصنع فى اليمن ليس لها عرض، والحوتك: القصير الضاوى والبرود: جمع برد وهو كساء مخطط يلتحف به.

٣ ـ زهرا: جمع الأزهر ويطلق على القمر وعلى كل لون أبيض صاف مشرق مضىء وقد يطلق على رفعة الشأن.

٤ ـ غبرا جمع أغبر وهو الذاهب الدارس يقال: لا يغرنك عز الدنيا فإنه أغبر والغبراء الأرض وبنو الغبراء هم الفقراء المحاويج.

جزاءُ تلك النعمةِ؟ قال: جزاؤها أن نقولَ: الحمد لله، فجاءت نعمةٌ أخرى، فلا تنفدُ نعمُ الله تعالى.

ليست النعمة بالمال وحده :

حدث أبو عثمان عن سليمان:

أن رجلا بُسِطَ له من الدنيا، فانتُزِع ما فى يديه، فجعل يحمد الله، ويُثْنِي عليه حتى لم يكُنْ له فراش إلا باری[1] . فجعل يحمد الله ويُثْنِي عليه.

وبُسِطَ لآخَرَ فى الدنيا، فقال لصاحب البارى:

أرأيتَك أنت، علامَ تحمدُ الله؟

قال: أحمده على ما لو أعطى به الخلقَ لم أعطهم إياه به؟[2] .

قال: وما ذاك؟

قال: أرأيتَ بصرَك؟ أرأيت لسانَك؟ أرأيت يديك؟ أرأيت رجليك؟

وحدّث جمعٌ من البصريين قالوا: جاء رجل إلى يونس بن عبيد يشكو ضيق حاله فقال له يونس: أيسرُّك ببصرك هذا الذى تُبصر به مائةُ ألفِ درهمٍ؟

قال الرجل: لا.

قال: فبيديك مائةُ ألف؟

قال الرجل: لا.

قال: فبرجليك؟

قال الرجل: لا.

---

١ ـ البارى والبارياء: الحصير (فارسى معرب).

٢ ـ هذه العبارة وردت فى الأصل بهذا اللفظ، والمقصود أن نعم الله على العبد لا حصر لها وليست فى المال وحده وفى جسم الإنسان وحواسه ما لايعد من النعم فوجب علينا حمده وشكره فى السراء والضراء.

قال: فذكَّره نِعَمَ اللّهِ عليه، فقال يونس: «أرى عندك مئين ألوف وأنت تشكو الحاجة»!!

نعمة الصحة :

عن شرحبيل أن أبا الدرداء كان يقول: «الصحةُ غِنَى الجسد».

أفضل الدعاء وأفضل الذكر :

عن جابر بن عبد الله قال، قال رسول الله ﷺ:
«أفضلُ الدعاء، لا إله إلا الله، وأفضلُ الذكر: الحمدُ لله»[1].
عن إبراهيم قال: يقال: «إن الحمدَ أكثرُ الكلام تضعيفا»[2].

إن سَلِموا وغَنِموا وَجَب الشكر :

عن كعب بن عجرة قال:
بعث رسول الله ﷺ بعثا من الأنصار وقال:
«إن سلَّمهم الله وغنَّمهم، فإن لله عليَّ فى ذلكَ شكرا».
قال: فلم يلبثوا أن غَنِمُوا وسَلِمُوا، فقال بعض أصحابه:
سمعناك تقول: «إنْ سلَّمهم الله وغنَّمهم فإن عليَّ فى ذلك شكراً لله عز وجل».

قال: «قد فعلتُ قلتُ: اللهم لك الحمد شكراً ولك المنُّ فضلا».

الحمـــد لله :

قال جعفر بن محمد: فَقَدَ أبى بغلةً له، فقال:
«لئن ردَّها اللّهُ عليّ لأحمدَنَّه بمحامِدَ يرضاها».

---

١ ـ لفظ الحديث: «أفضلُ الذكر: لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء: الحمد لله».

٢ ـ تضعيفا: يقال ضعفنا الشىء: أى أطبقنا بعضه على بعض وثنيناه، فصار كأنه ضعف وضعف العدد أو الشىء مثله أو هو الذى يثنيه فضعف العشرة مثلا عشرون والمقصود أن الحمد أكثر الكلام ثوابا ـ والله أعلم ـ.

فما لبث أن أُتِىَ بها بسرجها ولجامِها، فركبها، فلما استوى عليها ضَمَّ إليه ثيابه ورفع رأسَه إلى السماء ثم قال:

«الحمد لله» لَمْ يَزِدْ عليها، فقيل له فى ذلك[1] .

فقال: وهل تركتُ شيئا ـ أو قال أبقيتُ شيئا ـ جعلتُ الحمدَ كلَّه لله عز وجل.

قال يحيى بن سعيد وهو من أهل بلخ: من قال: «الحمد لله ربِّ العالمين على كلِّ نعمةٍ كانتْ أو هى كائنةٌ خاصة أو عامة».

فقد حَمِدَ الله على كل نعمةٍ كانت أو هى كائنة خاصة أو عامة ومن قال: «إنا لِلَّهِ وإنا إليه راجعون على كل مصيبةٍ كانت أو هى كائنة خاصة أو عامة» فقد استرجع من كل مصيبة.

شكر الله على محبة الناس لك :

حدّث عبدُ الرحمن بن زيد قال ابنِ المنذر لأبى حازم:

ما أكثر مَنْ يلقانى فيدعو لى بالخير! ما أَعرفهم، وما صنعتُ إليهم خيرا قط؟

فقال أبو حازم: لا تظن أن ذلك من قِبَلِكَ، ولكن انظرْ إلى الذى جاءك ذلك من قِبَلِهِ[2] فاشْكُرْه، وقرأ ابن[3] زيد: ﴿ إن الذين آمنُوا وعَمِلوا الصالحاتِ سيجعَلُ لهُم الرحمنُ وُدًّا﴾[4] .

من أحب إنسانا وصاه بالذكر والشكر :

عن الصنابحى عن معاذ قال: قال لى النبى ﷺ:

«إنى أحبك فقل: اللهم أعنِّى على ذكرِك وشكرِك وحُسنِ عبادتِك».

---

١ ـ أى فسألوه عن قوله (لئن ردها الله علىّ لأحمدنه بمحامد يرضاها) فى حين أنه لم يزد على قوله ـ الحمد لله ـ فأفهمهم أن قولها مع اعتقاد أن الحمد كله لله وحده هو ما قصده من قوله الأول.

٢ ، ٣ ـ ابن المنذر يلقاه أناس فيدعون له بالخير وهو لا يعرفهم فتحدث بهذه النعمة لأبى حازم، فأفهمه أن محبة الناس نعمة من الله فعليه أن يشكره وأيد ذلك ابن زيد بالدليل القرآنى فذكر الآية من سورة مريم.

٤ ـ سورة مريم آية ٩٦.

قال الصنابحى قال لى معاذ. إنى أحبك فقل هذا الدعاء:

قال أبو عبد الرحمن قال لى الصنابحى ـ وأنا أحبك فقل....

قال أبو عبدة قال لى حيوة: وأنا أحبك فقل..

قال لى عمر فقال لى أبو عبدة: وأنا أحبك فقل:

قال لى حسن الجردى: وأنا أحبك فقل...

قال لنا أبوبكر بن أبى الدنيا: وأنا أحبكم فقولوا...

قال لنا أبوبكر النجاد: وأنا أحبكم فقولوا...

قال لنا الشريف قال لنا الحرقى: وأنا أحبكم فقولوا...

وقال لنا الشريف وابن حشيش: ونحن نحبكم فقولوا...[1].

من دعاء أبى بكر الصديق:

«أسألك تَمام النعمةِ فى الأشياء كلِّها، والشكر لك عليها حتى تَرضى وبعد الرِّضى، والخِيرَة فى جميع ما تكونُ فيهِ الخِيرَة[2] بجميع ميسورِ[3] الأمورِ كلها لا بمعسورها[4] ياكريم».

---

١ ـ أطال ابن أبى الدنيا فى ذكر ذلك ولكنها إطالة محببة إلى النفس وفيها تنبيه إلى أن الوصية بهذا الدعاء غنيمة عظيمة وخصوصا لمن يعمل بمقتضاه فيكثر من ذكر الله وشكره ويقوم بحق الطاعة على خير وجه ما استطاع، والعبد الفقير يحب المؤمنين ويوصيهم بأن يقولوا دوما (اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك).

٢ ـ الخيرة بسكون الياء وفتحها: ما ينتقى ويصطفى من خار الشىء وأبو بكر رضى الله عنه يسأل ربه تمام النعمة وإعانته على الشكر كما يسأله أن يختار له من الأمور التى تكون فيها الخيرة ما يصلح به أمور دينه ودنياه.

٣ ـ ميسور الأمور: سهلها وممكنها يقال يسر الشىء ـ بفتح السين ـ ييسر ـ بكسرها ـ يسرا ـ بسكونها وفتح الياء ـ سهل وأمكن ويقال يسر له فى الأمر يسرا ـ بضم الياء ـ ويسارا: جعله له ميسورا: أى سهلا حاضرا.

٤ ـ المعسور: العسر وهو الأمر الصعب الشديد يقال عسر ـ بضم السين عسرا ـ بضم العين ـ أى عسر ـ بكسر السين ـ وعسر الزمان أو الأمر اشتد وصعب فهو عَسِرٌ وعَسُرَ عليه الأمر اختلط.

عبارة تثير جدلا :

قال الحسن:

«ما أنعم اللّهُ عز وجل على عبد نعمةً فقال: الحمد لله، إلا كان ما أعْطَى أكثَرَ مما أَخذَ».

تعليقات على هذا القول :

وبلغنى عن سفيان بن عيينة أنه سئل عن هذا[1] فقال:

هذا خطأ، لا يكون فِعْلُ العبدِ أفضلَ من فعْل اللهِ عز وجل، فقال بعض أهل العلمِ : إنما تفسيرها أن الرجلَ إذا أنعم اللّهُ عليه نعمةً وهو ممن يحبُّ أن يحمدَه عرفه اللّهُ عز وجل ما صنع به فيشكر لله عز وجل كما ينبغى له أن يشكرَه، فذهب لله عز وجل شكرُ العبادةِ التى فى النعمةِ، وكان الحمدُ له فضلا.

---

١ ـ أى عن معنى القول السابق للحسن لاختلاف الرأى فى فهم المراد منه. والوجه الممكن فهم العبارة عليه بتأويل يبعد عن الغموض هو: أن توفيق الله عبده لكلمة الحمد والشكر يعد أعظم من أى نعمة مادية ينعم بها عليه، وقد أثر عن الحسن قوله (ما من نعمة إلا والحمد لله أفضل منها).

وقد جاء فى تفسير القرطبى الجزء الأول (الباب الرابع) فى بيان معانى الفاتحة: روى ابن ماجة عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ : (ما أنعم الله على عبد نعمة فقال: الحمد لله، إلا كان الذى أعطى أفضل مما أخذ) (وفى نوادر الأصول) عن أنس بن مالك قال، قال رسول الله ﷺ : (لو أن الدنيا كلها بحذافيرها بيد رجل من أمتى ثم قال: الحمد لله لكانت الحمدُ لله أفضلَ من ذلك).

قال أبو عبد الله: معناه عندنا أنه قد أُعطى الدنيا،ثم أُعطى على إثرها هذه الكلمة حتى نطق بها فكانت هذه الكلمة أفضل من الدنيا كلها، لأن الدنيا فانية، والكلمة باقية من الباقيات الصالحات وقال: هو (خير عند ربك ثوابا وخير أملا).

وقيل فى بعض الروايات: لكان ما أعطى أكثر مما أخذ، فضمير الكلمة أعطى من العبد، والدنيا أخذ من الله فهذا فى التذكير كذاك يجرى فى الكلام أن هذه الكلمة من العبد، والدنيا من الله، وكليهما من الله، فى الأصل الدنيا منه والكلمة منه، أعطاه الدنيا فأغناه، وأعطاه الكلمة فشرفه بها فى الآخرة (انتهى المنقول عن القرطبى).

الحمد لله على كل حال :

عن مجمع الأنصارى عن (رجل) من أهل الخير قال:

«يُنْعِمُ اللّهُ فما زَوَى[1] عنا من الدنيا من نعمة أفضلُ مما بسطَ لنا منها، وذلك أن الله عز وجل لم يَرْضَهَا لنبيِّهﷺ فأكون فيما زوى لنبيه (و)[2] أحبَّ إلىَّ من أكون فيما كَرِهَ وسَخِطَ»

وبلغنى عن بعض العلماء قال:

ينبغى للعالم أن يحمدَ اللّهَ عز وجل على ما زوى عنه من شهواتِ الدنيا كما يحمده على ما أعطاه، وأين يقعُ ما أعطاه، والحسناتُ تأتى عليه إلى ما عافاه فلم يبتلِه[3] به؟ فيشغل قلبَه ويتعب جوارحَه، فيشكر اللّهَ على سكون قلبِه وجمْعِ بدنِه.

حديث عن ابن أبى الحوارى(*)

قال: جلس فضيل بن عياض وسفيان بن عيينة ليلة إلى الصباح يتذاكرون[4] النعمَ، فجعل سفيان يقول: أنعم اللّهُ علينا فى كذا، فعل بنا كذا فعل بنا كذا[5]

فى معنى الاستدراج :

حدّث عبد الله بن داود عن سفيان فى قوله سبحانه:

﴿ سنستدرِجُهم من حيثُ لايعلمون ﴾[6] قال: نُسْبغُ عليهم النعم، ونمنعهم

---

١ - زوى فلان الشيء: يزويه زيا: جمعه وقبضه، نقول: زوى فلان المال عن وارثه: يعنى قبضه ومنعه عنه.

٢ - الواو زائدة فى الأصل.

٣ - فلم يبتله: يقال: بلاه الله: اختبره بلاء بالمد وهو يكون بالخير والشر وفى التنزيل (ونبلوكم بالشر والخير فتنة). وأبلاه إبلاء حسنا وابتلاه أيضا، وابتلاه: جربه وعرفه.

والمقصود: أن ما يمنعه الله عن العبد من الخير فقد عافاه من مسؤولية السؤال عنه وعن شكره وفى ذلك تخفيف عن العبد فى الحساب.

٤ - هكذا فى الأصل بدلا من (يتذاكران) وإن كان التعبير الأول له نظائر فى الفصيح مثل قوله تعالى: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) وإن كان هناك فرق يدركه المتأمل.

٥ - أى حتى انقضى الليل ولم يستطع أن يحصى ما أنعم الله به عليه.

٦ - سورة القلم آية (٤٤).

* هذا العنوان موجود فى الأصل، ويدل على أن الكلام التالى له من إملاء ابن أبى الحوارى.

الشكرَ[1] ، وقال غير سفيان[2] : كلما أحدثوا ذنبا، أحدثنا لهم نعمةً، **قال** ابن داود: وينسوا[3]، وسئل ثابتٌ البنانى عن الاستدراج فقال: «ذلك مكرُ اللهِ بالعباد المضيِّعين».

من هدى الرسول ﷺ :

عن الزهرى عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا نظر وجهَه فى المرآة قال: «الحمد لله الذى سوَّى خلْقى فعَدَلهُ وكرَّم صورةَ وجهى وحسَّنها وجعلنى من المسلمين».

نعمة لا تشكر مصيبة :

قال أبو حازم: «نعمةُ الله علىّ فيما زوى عنى من الدنيا أعظمُ من نعمتِه فيما أعطانى منها، إنى رأيتُه أعطاها قوما فهلكوا».

. . . . . *

حكمة بليغة :

عن وهب بن منبه قال: مكتوبٌ فى حكمة آل داودَ :

«العافيةُ الملكُ الخفىّ»

أنشدنى أحمد بن موسىٰ الثقفى :

وكـم مِن نـعمـةٍ لله تُمـسى ... وتُصْبِحُ ليس تعـرِفُهـا كبيـرة
وكم من مدخلٍ لو متَّ فيه ... لكنتَ بها نَكَالاً فى العشيـرة
وُقِيتَ السـوءَ والمكـروهَ فيـه ... ورحتَ بنعمـةٍ فيــه ستيـرة

---

١ ـ وعلى هذا فما يكون عليه الكافر من ثراء ونحوه يعد مصيبة ـ فى الحقيقة عليه ـ لأنه سيحمل وزر عدم شكر ذلك كله.

٢ ـ أى فى معنى الآية.

٣ ـ هكذا جاء الفعل فى الأصل وصحته (وينسون) أى لعدم توفيقهم للخير ينسون شكر النعم ولا يلتفتون إلى اختبار الله لهم فى هذه النعم.

* هنا عبارة منسوبة لمروان بن الحكم وقد حذفت لخفاء المعنى بسبب اضطراب العبارة.

تقوى ونبل :

عن راشد بن سعيد قال : دُعى عثمانُ رضى الله عنه إلى قوم اجتمعوا على ميتةٍ لهم، فانطلق ليأخذَهم فتفرقوا قبل أن يبلغَهم.

فأعتق رقبةً شكرًا لله عز وجل ألا يكونَ جرى على يديه خِزْىٌ لمسلم[1] .

بين نعمتين :

قال بكر بن عبدالله المزنى لأبى تميمة الهجنى وهو مريض:

كيف أصبحتَ يا أبا تميمةَ ؟ قال : أصبحتُ بين نعمتين أميلُ بينهما لا أدرى أيهما أفضلُ : ذنبٍ ستره اللهُ فأصبحتُ لا أخافُ أن يعيرَنى به أحدٌ، ومودةٍ جعلها اللهُ فى صدورِ الناسِ لم أبلغْها.

من دعاء نوح عليه السلام :

· حدَّثتْ أم النعمان أن عائشة حدثتها عن النبى ﷺ قال : «إن نوحا عليه السلام لم يقمْ عن خلاء قط إلا قال : الحمد لله الذى أذاقنى لذتَه وأبقى علىَّ منفعتَه فى جسدى وأخرج عنى أذاه».

وورد أن نوحا عليه السلام كان إذَا خرج من الكنيف قال ذاك فسُمِّىَ عبدا شكورا.

كيف شكر الجوارح :

قال رجل لأبى حازم.

ما شكرُ العينين يا أبا حازم؟

قال : إن رأيتَ بهما خيرا أعلنتَه وإن رأيتَ بهما شرا سترتَه.

قال : فما شكرُ اليدين؟

---

١ ـ يعنى أن عثمان حمد الله وشكره على أن تفرق الجمع دون أن يوجه إليهم ما يؤذيهم أو يسىء إليهم ويخجلهم.. ألا ما أعظم هذه الأذواق الرفيعة العالية؟.

قال : لا تأخُذْ بهما ما ليس لهما ولا تمنع حقًا لله هو فيهما.

قال : فما شكرُ الأذنين؟

قال : إن سمعتَ بهما خيرا وعيتَه وإن سمعتَ بهما شرا دفنتَه.

قال : فما شكرُ البطنِ؟

قال : أن يكونَ أسفلُه طعاما وأعلاه علما.

قال : فما شكرُ الفروج؟

قال : كما قال الله عز وجل : ﴿ إلا على أزْوَاجِهِم أوْ ما مَلَكَتْ أيْـمَانُهُمْ فإنَّهُم غيرُ مَلُومِين ـ إلى قوله ـ فأولَئِكَ هُم العَادُون ﴾[1].

قال : فما شكرُ الرجلين؟

قال : إذا رأيتَ حيًّا غبطتَه[2] استعملتَ بهما عمله، وإن رأيتَ ميتا مقتَّهُ[3] كففْتَهُمَا عن عمله وأنت شاكرٌ لله عز وجل[4].

فأما من شكر بلسانه ولم يشكره بجميع أعضائِه فمَثَلُه كمثلِ رجلٍ له كساءٌ فأخذ بطرفِه ولم يلبَسه، فلم ينفعْه ذلك من الحرِّ والبردِ والثلجِ والمطرِ.

التواضع عند النعمة :

حدّث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عبد الرحمن ـ رجل من أهل صنعاء ـ.

قال : أرسل النجاشيُّ ذاتَ يوم إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه[5] فدخلوا عليه وهو في بيت عليه خلقانٌ وهو جالسٌ على التراب.

---

١ ـ سورة (المؤمنون) آية ٦، ٧.

٢ ـ أي وجدت منه أعمالا صالحة أحببت أن يكون لك مثلها دون أن تزول عنه.

٣ ـ مقته : أبغضت أعمالا سيئة كان يقوم بها.

٤ ـ أي تشكره على التوفيق للطاعة والبعد عن المعاصي.

٥ ـ كانوا مهاجرين إلى الحبشة.

قال جعفر : وأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال، فلما رأى ما فى وجوهنا، قال : إنى أبشركم بما يسرُّكم، إنه جاءنى من نحو أرضكم عينٌ[1] لى فأخبرنى أن اللهَ عز وجل قد نصر نبيَّهُ وأهلك عدوَّه، وأُسِرَ فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ، وقُتِلَ فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ، التقَوْا بوادٍ يقال له بدر، كثيرِ الأراك[2] كأنى أنظر إليه كنتُ أرعى به لسيدى - رجلٍ من بنى ضمرة - إبلَه.

فقال له جعفر : ما بالُكَ جالسا على التراب ليس تحتك بساطٌ وعليك هذه الأخلاقُ؟

قال : إنا نجدُ فيما أنزل اللهُ عز وجل على عيسى عليه السلام :

«إن حقًّا على عباد الله أن يُحْدِثُوا لله تواضُعا عندما يُحْدِثُ لهم نعمةً[3]. فلما أحدث اللهُ نصرَ نبيه ﷺ أحدثْتُ له هذا التـواضُعَ».

النعمة فى الابتلاء :

عن حبيب بن عبد قال :

«ما ابتلى اللهُ عبدا ابتلاء إلا كان لله عليه فيه نعمةٌ ألا يكونَ ابتلاه بأشدَّ منه».

قال عبد الملك بن أبجر :

«ما من الناس إلا مبتَلى بعافيةٍ لينظرَ كيف شكرُه ويبتليه لينظرَ كيف صبرُه».

عن وهب بن منبه قال :

«ينزل البلاءُ ليستخرجَ الدعاء».

قال سفيان الثورى :

«لقد أنعم اللهُ على عبد فى حاجةٍ أَكْثَرَ من تضرُّعِه إليه فيها».

---

١ - عين لى : أى جاسوس.

٢ - الأراك : شجر الواحدة أراكة.

٣ - أى أن العبد الصالح ينبغى أن يقابل كل نعمة جديدة بمزيد من الشكر والتواضع لله.

سجـود الشـكر :

عن أبى بكرة أن النبىَّ ﷺ كان إذا جاءه أمرٌ يسرُّه خرَّ ساجدا شكرًا لله.

عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال : لما تاب اللهُ عليه[1] سجد وألقى رداءَه إلى الذى بشره.

حدّث العلاء بن المغيرة قال : بُشِّر الحسنُ بموت الحجاج وهو مختفٍ، فسجد.

عن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن عوف أن رسولَ الله ﷺ قال : «أرانى لقيتُ جبريل عليه السلام فبشَّرنى وقال : إن اللهَ تعالى يقول لك : مَنْ صلَّ عليك صليتُ عليه، ومَنْ سلَّم عليك سلمتُ عليه» فسجدتُ لذلك شكرا[2].

حُدثْتُ عن سعيد بن عامر قال : قال سلام بن أبى مطيع :

متى شئتَ أن ترى من النعمة عليك أكثَر منها علىَّ رأيتَه؟ قال سلام بن أبى مطيع : أىْ واللهِ، إذا أغلقتَ عليك بَابَك جاءك من يسألك يدقُّ عليك ليعَرفَك نعمتَه عليك.

هذا الكلام عن سعيد بن عامر[3].

اذكر المطروحين فى الطريق :

قال وبلغنى عن أبى خيثمة عن زهير البابى عن سلام بن أبى مطيع قال :

دخلتُ على مريض أعودُه فإذا هو يَئِنُّ، فقلت له : اذكر المطروحين فى الطريق، اذكر الذين لا مأوى لهم ولا لهم من يخدمهم.

---

١ ـ أى على كعب بن مالك وهو أحد الثلاثة الذين خلّفوا فى غزوة تبوك.

٢ ـ كيفيتها : سجدة الشكر سجدة واحدة كسجدة التلاوة يحمد الله فيها ويثنى عليه بما هو أهله كأن يقول : (اللهم إن هذه النعمة منك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر، اللهم زدها نعمة واحفظها من الزوال) أو بأى دعاء مأثور.

٣ ـ هذه العبارة فى الأصل إشارة إلى المملى أو الراوى.

قال : ثم دخلت عليه بعد ذلك فلم أسمعْه يئنُّ، قال : وجعل يقول : اذكر المطروحين فى الطريق، اذكر من لا مأوى له ولا له من يخدمه.

رَضِىَ بالحمد من عِبادِه شُكرا :

عن عبد الله بن أبى نوح قال ، قال لى رجل -على بعض السواحل- :
كم عاملتَه تبارك اسمُه بما يكره ، فعاملك بما تحب ؟ قلت : ما أُحْصِى ذلك كثرَةً.
قال : فهل قصدت إليه فى أمر كَرَبَكَ فَخَذَلكَ؟ قلت : لا واللهِ، ولكنه أحْسَنَ إلىَّ فأعاننى.
قال : فهل سألتَه شيئا قط فأعطاك؟
قلت : وهل منعنى شيئا سألتُه ؟ ما سألتُه شيئا قط إلا أعطانى ، ولا استعنتُ به إلا أعاننى.
قال : أرأيتَ لو أن بعضَ بنى آدمَ فعل بك بعضَ هذه الخلالِ ما كان جزاؤه عندك؟
قلت : ما كنتُ أقدرُ له على مكافأة ولا جزاء.
قال : فربُّك أحقُّ وأحْرَى أن بذلتَ نفسَك له فى أداء شكر نِعَمِهِ عليك، وهو المحسِنُ قديما وحديثا إليك، واللهِ لشُكْرُه أيسَرُ من مكافأة عبادِه، إنه تبارك وتعالى رضى بالحمد من العباد شكرا.

تمام النعمة النجاة :

حدّث القاسم بنُ عثمان الدمشقى قال : قلت ليمان بن معاوية الأسود العابد:
رأيتَ إبراهيم بنَ أدهم ؟
فضحك وأكثر ، قلت :
من ؟ قال :

سفيان الثورى[1] قال:

سمعت أخى سفيان الثورى يقول :

«ما كان اللهُ عز وجل لينعمَ على عبد فى الدنيا فيفضَحَهُ فى الآخرةِ وحقٌّ على المنعِمِ أن يُتِمَّ على مَنْ أنعمَ عليه».

حدّث أحمد بنُ أبى الحوارى قال : قلت لأبى معاويةَ الأسودِ : يا أبا معاوية : ما أعظمَ النعمَ علينا فى التوحيد؟، نسأل اللهَ تعالى أن لا يسلُبَناه.

قال : يحقُّ على المنعِمِ أن يتمَّ على مَنْ أنعم عليه.

حدّث أبو حاتم أحمدَ بن أبى الحوارى سمعت محمدَ بنَ إسحاق ـ من أهل عكا ـ قال : سمعتُ أبا معاوية الأسودَ اليمانى العابد يقول : اللهُ عز وجل أكرمُ من أن يُنعِمَ بنعمة إلا أتمها، أو يستعملَه بعمل[2] إلا قَبِلَه.

لا يكلّف اللهُ نفسا إلا وُسْعها :

عن ابن أبى الحوارى قال : قالت لى مُؤمنةُ المتعبدةُ: أنا فى شىءٍ قد شغلَ قلبى.

قلت : ما هو ؟

قالت : أريدُ أن أعرفَ نعمةَ اللهِ علىَّ طرفةَ عينٍ[3] أو أُعذَّبَ بتقصيرى عن شكرى النعمةَ طرفةَ عينٍ[4] فقلتُ لها : أنت تريدين ما لا تَهْتَدِى إليه عقولُنا.

بركـة الحمـد :

حدَّثَ عبد الرحمن بن يزيدَ بن أسلم قال :

يقال : إنه لَيكُونُ فى المجلسِ الرجلُ الواحدُ يحمدُ اللهَ، فتنقضى لأهلِ ذلك المجلسِ حوائجَهم كلَّها.

---

١ ـ هكذا جاءت العبارة فى سياق القصة فى الأصل ويبدو أن فيها حذفا ولكن المقصود من كلام الثورى واضح فيما بعد.

٢ ـ أى يوفق عبده لعمل صالح.

٣ ـ أى فى كل طرفة عين.

٤ ـ أى هى تخشى أن تُعذَّب بسبب تقصيرها عن شكر النعمة فى كل لحظة.

الحمد لله على كل حال :

ـ حدَّث عبد الرحمن بن يزيدَ بنِ أسلم قال :

«ذكر بعضُ أهل العلم أن فى بعض الكتبِ التى أنزلها اللهُ تعالى أن اللهَ قال : سُرُّوا[1] عبدى المؤمنَ فكان لا يأتيه شىءٌ يحبُّه إلا قال : الحمد لله، الحمد لله ما شاء الله.

قال : رَوِّعى[2] عبدى المؤمنَ ، قال فلا تطلُعُ عليه طلعةٌ من طلائع المكروهِ، إلا قال : الحمد لله الحمد لله.

قال الله عز وجل : إنى أرى عبدى يحمدُنى حين رَوَّعْتُه، كما يحمدنى حين سَررْتُه، أدخِلوا عبدى دارَ عدنٍ كما يحمدنى على كلِّ حالاَتِه.

عـــبرة :

حدَّث وهب بن منبه قال :

عَبَدَ اللهَ عابِدٌ خمسين عاما وأوحى اللهُ أنى قد غَفَرتُ لك.

قال : يا رب وما تَغْفِرُ لى ولم أُذْنِبْ ؟

فأَذِنَ اللهُ عز وجل لِعرْقٍ فى عنقِه فضَرَبَ عليهِ ، فلم يَنَمْ ولم يُصلِّ ثم سَكَنَ فنام.

فأتاه مَلَك فشكا إليهِ[3] فقال : ما لقيت من ضربات العِرْقِ[4] قال المَلَكُ . إن ربك عز وجل يقول : عبادتُكَ خمسين سنةً تَعدِلُ سكونَ ذلك العِرْقِ![5].

---

١ ـ أى يقول ذلك لملائكته ـ والله أعلم ـ

٢ ـ رَوِّعى : افزعى وخوفى والترويع والتخويف والتفزيع.

٣ ـ فى الأصل (فشكا الله) وما أثبتناه أنسب.

٤ ـ أى تحدث إلى المَلَكِ بما جرى له بسبب آلام العرق.

٥ ـ الله عز وجل يقبل منا القليل ويثيبنا عليه بفضله وإحسانه الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله، فينبغى للعبد أن يلازم الطاعة والخضوع والرجاء والخوف حتى الموت ولا يغترّ بعمل صالح ولا تلهيه الأمانى عن العمل بنية صالحة.

أدنى نعمـــة :

حدثنى أبو أيوب القدسى مولى بنى هاشم قال:

قال داودُ عليه السلام : «رب أخبرنِي : ما أدنى نعمِك علىَّ؟ فأوحى اللهُ إليه يا داودُ تنفسْ، فتنفسَ، فقال : هذا أدنى نعمتى عليك».

نصيحــة غاليــة :

عن عبيد الله بن أبى حميد قال : سمعتُ بكر بن عبد الله المزنى يقول :

لقيتُ أخا لى من إخوانى الضعفاءِ، فقلت : يا أخى أوْصنى فقال : ما أدرى ما أقول، وابنُ آدمَ بين نعمةٍ وذنبٍ، ولا تصلحُ النعمةُ إلا بالحمدِ والشكرِ، ولا الذنبُ إلا بالتوبةِ والاستغفارِ. قال : فأوْسِعْنى علماً ما شئتَ.

أفضـــل الشـــكر :

عن أبى المليح قال : قال موسى عليه السلام :

«ربِّ ، ما أفضلُ الشكرِ ؟ قال : أن تشكُرَنى على كلِّ حالٍ».

الحمـــد للــــه :

عن عبد العزيز بن أبى داودَ قال :

رأيتُ فى يد محمدِ بن واسع قرحةً ، قال : فكأنه رأى ما شَقَّ علىَّ منها، فقال : أتدرى ماذا لله تعالى علىَّ فى هذه القرحةِ من نعمةٍ!.

فأمسكْتُ.

قال : إذْ لم يجعلْها على حَدَقتِي ولا على طرفِ لسانى، فهانتْ علىَّ قرحتُه[1].

الدعـــاء بالعافيــة :

عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال :

---

١ ـ أى خفف هذا الكلام عنه أثر الألم الذى شعر به بسببها.

«يا عباسُ يا عمَّ النبى ، أَكْثِرْ الدعاءَ بالعافية»[1].

عن أبى هريرةَ قال : قام أبو بكر على المنبرِ فقال :

«لقد علمتم ما قام به فيكم رسولُ اللهِ ﷺ عَامَ أول فى مقامى هذا، ثم أعادها ثم بكى، ثم أعادها ثم بكى فقال : إنَّ الناسَ لم يُعْطَوا فى هذه الدنيا شيئا أفضلَ من العفوِ والعافيةِ، فسلُوهما اللهَ عز وجل».

أَمَرَ بالدعاء وتوكَّل بالإجابةِ :

حدَّث جابر بن عبد الله أَنَّ النبىَ ﷺ قرأ ﴿وإذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[2] الآية، فقال النبىُ ﷺ :

«اللهمّ إنَّكَ أَمرتَ بالدعاءِ وتوكَّلت بالإجابةِ، لبَّيك[3] اللهمَّ لبَّيكَ لبَّيك لَا شريكَ لكَ لبَّيك إنَّ الحمدَ والنعمةَ لكَ والملكَ لَا شَريكَ لك».

أشهدُ أنك فردٌ أحدٌ صَمدٌ[4] لم يَلِدْ ولم يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كفْوًا[5] أَحد، وأشهدُ أنَّ وَعْدَكَ حقٌّ ولقاءَك حقٌّ والجنَّةَ حقٌّ والنَّارَ حق، والساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فِيهَا، وأنَّكَ تبعَثُ مَنْ فى القُبُورِ»[6].

كان عبد الأعلى التيمى يقول :

أكْثِرُوا من سؤالِ العافيةِ ، فإن المبتلَى وإن اشْتَدَّ بلاؤه ليس بأحقَّ بالدعاءِ من المعافَى الذى لا يأمنُ البلاءَ، وما المبتلَوْن اليومَ إلا من أهلِ العافيةِ

---

١ - وكان الرسول ﷺ يكثر فى السحر من قول: (اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة) وكان من دعائه: (اللهم إنك عفوّ تحبّ العفْو فاعفُ عنى).

٢ - (سورة البقرة) آية ١٨٦.

٣ - لبيك : يقال ألبّ بالمكان إلبابا أقام به ولزمه ولبّ لغة فيه، قال الفراء: ومنه قولهم لبيك أى أنا مقيم على طاعتك.

٤ - الصمد : السيد لأنه يُصمَدُ إليه فى الحوائج أى يقصد يقال: صمده أى قصده.

كفوا : أى مناظرا أو شبيها.

٦ - والحديث بهذا اللفظ فى تفسير ابن كثير الجزء الأول عند تفسير قوله تعالى (أجيب دعوة الداع إذا دعان).

بالأمسِ ، وما المبتلَوْن بعد اليومِ إلا من أهلِ العافيةِ اليوم، ولو كان بلاءٌ يجرُّ خيرا ما كنا من رجالِ البلاءِ إنه رُبَّ بلاءٍ قد أجْهدَ فى الدنيا وأخْزى فى الآخرةِ[1] فما يأمنُ من أطالَ المقامَ على معصيةِ اللهِ أن يكون قد بقى له فى بقية عمرِه من البلاءِ ما يحذرُه فى الدنيا ويفضحه فى الآخرة، ثم يقول عند ذلك : الحمدُ لله الذى إنْ نَعُدَّ نِعَمَهُ لا نحْصِيها. . . . .*

السؤال عن النعيم :

عن منصور عن تميم بن سلمة قال :

حُدِّثْتُ أن الرجلَ إذا ذكَر اسمَ اللهِ على طعامه، وحمده على آخره، لمْ يُسْأَلْ عن نعيمِ ذلك الطعامِ.

الحمد والفضل لله وحده :

حدث عبد الله بهلونى قال :

كنا بطريق مكةَ فأصابنا عطشٌ شديدٌ فاكْتربنا دليلا يخرج بنا إلى موضع ذُكِرَ لنا فيه ماء، فبينما نحن نسير تَبَادَرَ[2] الماءُ بعد طلوعِ الفجرِ، إذا بصوت نسمَعه وهو يقول:

ألا تقولون؟

فأجبتُه فقلت : وما نقول ؟

فقال : اللهم ما أصبح بنا من نعمةٍ أو عافيةٍ أو كرامةٍ فى دين أو دنيا جرت علينا فيما مضى أو هى جاريةٌ علينا فيما بقى، فهى منك وحدكَ لا شريكَ لك، فلك الحمد عليها، ولك المنُّ، ولك الفضلُ، ولك الحمد عدد ما أنعمتَ به علينا، وعلى جميعِ خلقِك من لدنْك إلى مُنتهَى علمِك لا إله إلا أنت.

ثم قال : هذا من البداءِ إلى البقاءِ.

---

١ - أى بسبب عدم الصبر عليه والرضا بقضاء الله وشكره عل كل حال.

٢ - تبادر : من بدر إلى الشىء أسرع وبادر إليه أيضا وتبادر القوم : تسارعوا.

* حذفت جملتان لخفاء معناهما بسبب اضطراب العبارة.

دعاء فى المجلس :

عن سفيانَ قال : كان الحسنُ إذا جلس مجلسا يقول : «اللهمّ لك الحمدُ بالإسلامِ ولك الحمدُ بالقرآنِ، ولك الحمدُ بالأهل والمالِ، بسطْتَ رِزقَنا، وأظهرتَ أمَّتنا، وأحسنْتَ مُعافاتِنا، ومن كلِّ ما سألناك ربَّنا أعطيتَنا، فلك الحمدُ كثيرا كما تُنْعِمُ كثيرا أعطيتَ خيرًا كثيرًا، وصرفْتَ شرًّا كثيرًا، فلِوَجْهِكَ الجليلِ الباقى الدائِمِ الحمدُ، الحمدُ لله ربِّ العالمين».

حديث شريف :

عن أبى هرَيْرَة رضى الله عنه ـ قال، قال رسولُ الله ﷺ :

«انظروا إلى مَنْ هو أسفَلُ منكم، فإنَّه أجْدَرُ ألَّا تزدَرُوا نعمةَ اللهِ عليكم»[1].

فى السـفر :

عن مجاهد قال : كان ابن عمر إذا كان فى سفر، فطلع الفجرُ رفع صوتَه ونادى :

يسمع سامع[2] بِحَمدِ الله ونعمتِه وحسنِ بلائِه علينا[3] (ثلاثا).

---

١ ـ فهو أجدر ألا تزدروا : الازدراء الاحتقار والانتقاص، وفى البخارى عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : (إذا نظر أحدكم إلى من فُضّل عليه فى المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه).

فضل : أى فضله الله بأن أعطاه أكثر منه، إلى من هو أسفل منه : أى مَنْ هو دونه فى المال والخلق ولا ريب أن الشخص إذا نظر إلى من فوقه لم يؤمن أن يؤثر ذلك فيه فدواؤه أن ينظر إلى من تحته ليكون ذلك داعيا إلى الشكر، فمهما كان الإنسان على حال خسيسة من الدنيا إلا وجد من أهلها من هو أخس حالا منه فإذا تفكر فى ذلك علم أن نعمة الله وصلت إليه دون كثير فَيُلزِم نفسه الشكر ويعظُم اغتباطه بذلك.

٢ ـ كذا فى الأصل.

٣ ـ أى إنه كان يقول نحو . الحمد لله على نعمه وحسن بلائه (ثلاثا).

اللهم صاحِبْنا فأفضِلْ علينا (ثلاثا).

عائذا بالله من النار[1] (ثلاثا).

لا حول ولا قوةَ إلا بالله (ثلاثا).

اختيار الصاحب :

حدَّث محمد بن النضر الحارثى قال:

بلغنى أن الله عز وجل أوحى إلى موسى : «أن يا موسى بن عمران كُن يقظان مُرتَادَ الفَلا[2] أخْدانا[3] وكُلُّ خِدْنٍ لا يُؤاتيك على مسرَّتى فلا تَصْحَبْه[4] فإنَّ ذلك عدوٌّ، وهو يُقسِّى قلبَك، وأَكْثِرْ من ذِكرى حتى تستوجبَ الشكرَ، وتستكملَ المزيدَ.

شكر الله واجب :

عن الحسن قال:

خلق اللهُ آدمَ حين خلقه، فأخرج أهلَ الجنةِ من صفحتِه اليُمنى، وأخرج أهلَ النارِ من صفحتِه اليُسرى فدبُّوا على الأَرْضِ فيهم الأعمى والأصمُّ والمُبْتَلَى، فقال آدمُ:

«يا ربِّ أَلَا سوَّيتَ بين وُلْدِى»

قال : يا آدمُ «إنى أرَدْتُ أن أُشْكَر»[5].

---

١ ـ أى ويقول نحوَ (أعوذ بالله من عذاب النار).

٢ ـ أى تردّدْ على الصحراوات والخلوات، وارتاد المكانَ طلبه.

٣ ـ أخدانا : أصدقاء ومرافقين.

٤ ـ أى كل صاحب لا يكون لك عونا على طاعة الله فاجتنبه.

٥ ـ ومما يدل على أن العباد خلقوا للقيام بشكر الله قوله تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون).

من دعاء الصباح :

عن ابن عباس رضى الله عنهما ـ قال، قال رسول الله ﷺ :

«مَنْ قال حين يُصْبحُ : اللهم ما أصْبَحتْ بِي نِعمة[1] أو بأحد من خلقِك فمنك وحدك لا شريكَ لك فلك الحمدُ ولك الشكرُ، إلاَّ أدَّى شُكرَ ذلك اليوم».

من جوامع الكلم :

عن شجيرة قال ، قال رسول الله ﷺ :

«من ابتُلِيَ فصبرَ، وأُعْطِيَ فَشَكَر، وظُلِمَ فغفرَ، وظَلَمَ فاسْتَغْفَرَ ثم شَكر» ثم سكت ـ ﷺ ـ قالوا : ما لَهُ يا رسولَ الله؟ قال : «أولئكَ لَهُمُ الأمنُ وهم مُهتَدون».

وصيــة نبويــة :

حَدَّثَ سفيان حدثني رجل من أسنانا[2] أن النبي ﷺ أوصى رجلا بثلاث قال :

«أكْثِرْ ذكْرَ الموتِ يُسَلِّكَ عمَّا سِوَاه، وعليكَ بالدعاءِ فإنَّكَ لا تَدْرِى متى يُسْتَجابُ لك، وعليك بالشكرِ فإن الشكرَ زيادةٌ».

دعاء عروة عند الطعام :

عن أبي موسى قال، كان عروة إذا أُتِيَ بطعامِه لم يزل مُخَمَّرًا[3] حتى يقولَ هؤلاءِ الكلماتِ:

«الحمد لله الذى هدانا وأطعمنا وسقانا ونعمنا، الله أكبر، اللهم أَلْفَتْنَا نِعَمُكَ ونحن بكلِّ شَرٍّ فأصبحْنَا وأمسينا فيها بكلِّ خيرٍ. . .* لا خيرَ إلا خَيرُكَ ولا إلـه

---

١ ـ وفى لفظ آخر : اللهم ما أصبح بى من نعمة ـ الحديث ويقال فى المساء : اللهم ما أمسى بى من نعمة. . الحديث.

٢ ـ كذا فى الأصل.

٣ ـ مخمرا : مغطى.

* . . . أسقطنا جملة لخفاء معناها بسبب اضطراب لفظها.

غيرُك، إلـه الصالحين، وربَّ العالمين، الحمدُ لله، لا إلـه إلَّا اللهُ، ما شاء اللهُ لا قوةَ إلا بالله، اللهم بارِكْ لنا فيما رزقْتنا، وقِنَا عذابَ النارِ».

من دعاء النبى عند الطعام :

عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ إذَا أكل قال :

«الحمدُ لله الذى أطعمنى وسقانى وهدانى فكلٌّ بالإحسان أتْلانى[1] الحمدُ لله الرزاقِ ذى القوةِ المتينِ، اللهم لا تنزِعْ منا صالِحَ ما أعطيتناه، ولا صَالِحَ ما رزقتَناه، واجعَلْنا لك من الشاكرين».

عن أبى أيوب عن النبى ﷺ أنه كان إذا أكل قال :

«الحمدُ لله الذى أَطعم وسقَى وسوَّغه وجعل له مَخرجا».

رؤوس النعم :

عن وهب بن منبِّه قال : «رؤوسُ النِّعمِ ثَلاثٌ : فأوَّلُها نعمةُ الإسلام التى لا تطيبُ الحياةُ إلَّا بِها، والثالثةُ[2] نعمةُ الغِنَى التى لا يتمُّ العيشُ إلَّا بها».

عن سلام بن أبى مطيع قال : أتينا الحويرثَ وكان من مشايخِ أهل البصرةِ، وكان قد قدِم من الحج فجعل يقول :

«أتلانا اللهُ فى سفرنا كذا[3] ثم قال : كان يقال : وإنَّ تعدادَ النعمِ من الشكر».

عــبرة :

مرَّ وهب بن منبه بمُبتلى أعمى مجذومٍ مُقعَدٍ عريان به وَضَحٌ[4] وهو يقول : «الحمدُ لله على نعمته».

---

١ - أى أبقاها لدينا يقال : أتليت حقى عنده أى أبقيته.

٢ - كذا فى الأصل وسقطت الثانية.

٣ - أى أبقى الله لدينا من نعمه كذا وكذا ويذكر من نعمه ما شاء. والتحدث بالنعمة على سبيل التواضع والشكر مع إخلاص النية فى ذلك مرغوب فيه.

٤ - به وضح : المراد به البرص.

فقال رجل كان مع وهب : أيُّ شيءٍ بقى من النعمة تحمدُ اللّهَ عليها ؟ فقال المبتلى : ارْمِ ببصرك إلى أهل المدينة، فانْظر إلى كثرة أهلها، أولا أحمدُ اللّهَ أنه ليس فيهم أحدٌ يعرفُه غيرى ؟!

توجيـــه :

حدَّث محمد بن عمرو سمعت السرى بن عبد الله وهو على الطائف وأصابنا مطرٌ، فخطب الناسَ فقال : «أيها الناسُ احمدوا اللّهَ على ما وضَعَ لكم من رزقِه فإنه بلغنى عن النبى ﷺ أنه قال : إذا أنعم اللّهُ على عبدٍ نعمةً فحمِده عندها فقد أدّى شُكرَها»[1] .

قصة فيها عبرة :

عن على بن أبى طالب قال : «أُتِىَ بختنصرُ بدانيالَ النبىِّ عليه السلامُ، فأمر بِه فحُبِسَ، وضرَّى[2] أسدين فألقاهما فى جُبٍّ معه وطبَّقَ عليه وعلى الأسدين ثم حبسه خمسةَ أيامٍ فى الجب مع الأسدين، ثم فتح غيبتَه بعد خمسةِ أيام، فوجد دانيالَ قائما يصلِّى، والأسدان فى ناحيةِ الجبِّ لم يَعْرِضَا له : فقال له بختنصرُ : أخْبرنى ماذا قلتَ فدُفِعَ عنك؟

قال، قلتُ : الحمدُ لله الذى لا يَنْسَى مَنْ ذَكَرَهُ.
الحمدُ لله الذى لا يُخَيِّبُ مَنْ رَجَاهُ.
الحمد لله الذى لا يَكِلُ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيهِ إلى غيره.
الحمد لله الذى هو يَقِينا حِينَ تَنْقَطِعُ عنا الحِيَل.

---

١ ـ وجاء لفظ الحديث فى رواية الحاكم والبيهقى عن جابر رضى الله عنه : (ما أنعم الله تعالى على عبد من نعمة فقال (الحمد لله) إلا أدى شكرها، فإن قالها الثانية جدد الله له ثوابها، فإن قالها الثالثة غفر الله له ذنوبه).

٢ ـ ضرى : يقال ضرِى الكلب بالصيد ضراوة أى تعود والكلب الضارى والكلبة الضارية أى الذى عوده صاحبه، وأضراه به.

الحمدُ لله الذى هو رجاؤنا يوم تسوءُ ظنُونُنا وأعمالُنا.
الحمدُ لله الذى يكشفُ خِزْينا عند كرْبنا.
الحمدُ لله الذى يَجْزى بالإحْسان إحسانا.
الحمدُ لله الذى يجزى بالصبر نجاة.

من هَدْى النبى :

عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا نَظر فى المِرآةِ قال: «الحمدُ لله الذى خلقنى فأحسن خَلْقى وخُلُقى وزان منىِّ ما شان من غيرى».

وعن ابن سيرين قال : كان ابن عمر يُكْثِر النظرَ فى المرآة وتكون معه فى الأسفار فقلتُ له : ولِـمَ؟ قال : أنْظرُ فما كان فى وجهى زينٌ وهو فى وَجْه غيرى شينٌ أحمدُ الله عليه.

الشكر على السلامة :

عن سفيان بن عيينة قال:

عَمِلَ رجلٌ من أهل الكوفة بخُلُقٍ دنِىء، فأعْتقَ جاريةً له إذْ عافاه الله من ذلك الخلُقِ[1]. قال : وأُمْطِرَ أهلُ الكوفةِ مطرا فهُدمتْ منهُ البيوتُ فأَعتق ابن أبى داودَ جاريةً له شكرًا لِله عزَّ وجل إذْ عافاه من ذلك.

تمـــام النعمـــة :

سأل رجلٌ أبا بكرِ بنِ عبد الله بن أبى مريمَ فقال : ما تمامُ النعمةِ؟
قال : أن تضعَ رِجْلا على الصراطِ ورِجْلا فى الجنة.

النعمة فى البصر :

قال أبو بكر بن عبد الله المزنى:
يا ابنَ آدمَ أردْتَ أنْ تعلمَ قدْرَ ما أَنْعم اللهُ عليك فغمِّضْ عينيك.

---

١ ـ أى أنه لما رأى غيره فعل ما يغضب الله أعتق جارية للشكر على أنه عافاه الله من فعل مثل ذلك.

معنى آيـــة :

عن مقاتل بن حيان : ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[1].

قال : أمَّا الظَّاهِرَةُ فالإسْلامُ.

وَأَمَّا البَاطِنةُ فَسَتْرُهُ عليكم المعاصى.

حِكمـــة :

عن ابن شوذب قال : قال عبد الله :

«إنَّ لِله عز وجل على أهلِ النارِ مِنَّةً، لو شاء أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بأشدَّ من النارِ لعذَّبهم».

خصـــال خـــير :

قال أبو سليمان الدارانى:

«جلساءُ الرحمن عزَّ وجلَّ يوم القيامة مَنْ جعل فيه خصالَ: الكرمِ والسخاءِ والحلمِ والرحمةِ والرأفةِ والشكرِ والبرِّ والصبرِ».

توجيــه نبــوى :

عن أبى هريرة قال ، قال رسول الله ﷺ : مَنْ رأى صَاحِبَ بلاء فقال : «الحمدُ لله الذى عافانى مما ابتلاك به، وفضلنى عليك وعلى جميع مَنْ خلق تفضيلا[2] فقد أدّى شكرَ تلك النعمةِ»[3].

---

١ - سورة لقمان آية ٢٠.

٢ ـ كذا العبارة فى الأصل.

٣ ـ ودعاء نحفظه : (الحمد لله الذى عافانا مما ابتلى به غيرنا وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا).

صرف النعم فى الطاعة :

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم :

«الشاكرُ[1] يأخذ بحزْم الحمدِ[2] وأصلِه وفرعِه وينظر فى نعمةٍ منْ اللهِ فى بدنهِ وسمعِه وبصرِه ويديه ورجليه وغيرِ ذلك ليس من هذا شىءُ إلا وفيه نعمةٌ من الله، حق على العبدِ أن يعملَ بالنعمِ اللاتى هى فى بدنِه لله عز وجل فى طاعته.

ونعمٌ أخرى فى الرزقِ حق عليه أن يعملَ لله بما أنعم عليه من الرزق فى طاعته، فَمَنْ عمل بهذا فَقَدْ كان قد أخذ بحَزْم الشكرِ وأصلِه وفرعِه».

عن كعب قال :

«ما أنعم الله عز وجل على عبد من نعمة فى الدنيا فشكرها للهِ عز وجل وتواضع بها لله إلا أعطاه نفْعَها فى الدنيا ورفع له بها درجةً فى الآخرةِ وما أنعمَ اللهُ على عبد من نعمةٍ فى الدنيا فلم يشكُرْ لله ولم يتواضَعْ إلا منعهُ اللهُ نفعَها فى الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذبه إن شاء أو تجاوز عنه».

قال الحسن :

«مَنْ لا يرى لله عليه نعمةً إلا فى مطعم أو شربٍ أو لباسٍ فقد قصر علمه وحضر عذابه».

أىُّ النعمتين أفضل ؟

عن هشام بن سلمان قال :

كنتُ قاعدا عند الحسن، وبكر بن عبد الله المزنى، فقال الحسن : هاتِ يا أبا عبدِ الله دعواتٍ لإخوانك، فحمِدَ اللهَ وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ ثم قال :

«واللهِ ما أدرى أى النعمتين أفضلُ علىَّ وعليكم : نعمةُ المسلكِ أم نعمةُ

---

١ - فى الأصل (الشكر) وما أثبتناه أنسب. أى إن الشاكر الحازم هو الذى ينظر فى نعم الله عليه ويصرفها فى طاعته.

٢ - حزم الحمد : الحزم ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة وحزمُ الحمد يقصد به الحمد الذى ينبغى للمؤمن هو صرف النعم فيما خلقت له.

المخرج إذْ أخرجهُ اللهُ منا؟ قال الحسن: لقد قلتَ عجبا يا أبا بكر إنها لِمَنْ نِعَمِهِ العظام ».

عن شهر بن حوشب سمعت عائشة تقول:

«ما من عبد يشرب من الماء القراح فيدخلُ بغيرِ أذَى ويخرج بغير أذىً إلا وجب عليه الشكر».

أيهـــا تشـــكر ؟ :

كتب بعض الحكماء إلى أخ له:

أما بعد يا أخى ، فقد أصبح بنا من نعم الله عز وجل ما لا نُحْصيه مع كثرةِ ما نَعْصِيه فما ندرى أيها نشكر؟ أجميلُ ما ظهر أم قبيحُ ما ستر؟

سُمِعَ عبادة بن بهلول بن كليب يقول: كتبَ إلَىَّ ابنُ السماك.

أما بعد فإنى كتبتُ إليك وأنا مسرور مستورٌ فأنا بهما مغرورٌ، ونعمٌ أتلاها[1] فأنا بها مسرورٌ كأننى فيها على باديةِ الحقوقِ، فليت شعرى ما عواقبُ هذه الأمور؟

قصــــة :

قيل للحسن : ههُنا رجلٌ لم نره قط جالسا إلى أحدٍ ولا رأينا أحدًا جالسا إليه، إنما هو أبدا خلْف ساريةٍ وحده : قال الحسنُ : إذا رأيتموه فأخْبرونى به، فمرُّوا به ذَاتَ يوم ومعهم الحسنُ فأشاروا إليه فقالوا : ذاك الرجلُ الذى أخبرناك به.

فقالَ : امضُوا حتى آتيَهُ، فلمَّا جاءه قال : يا عبدَ الله أراك حُبِبّتْ إليك العزلةُ فما يمنعك من مخالطةِ الناس؟

قال : ما أَشْغلنى عن الحسن وعن الناس.

قال له الحسنُ: فما الذى يشْغَلُكَ يرحمُك اللهُ عن ذلك؟ قال : إنى أُصبح وأُمسى بين ذَنْبٍ ونعمةٍ، فرأيتُ أنْ أشغَلَ نفسى عن الناس بالاستغفار من الذنبِ وشكر اللهِ على النعمةِ. فقال الحسنُ : أنت يا عبدَ اللهِ أفقهُ عندى من الحسنِ فالزمْ ما أنتَ عليه.

---

١ ـ أتلاها : أى أبقاها لدينا.

عِظـــــة :

حدَّث محمدُ بن يزيدَ بن حبيش قال : انصرف الناسُ ذاتَ يومٍ من العيد، فرأى وهيبُ الناسَ، وهم يمرُّون فى ذلك الزى[1] فنظرَ إليهم ساعةً ثم قال :

عفا اللهُ عنَّا وعنكم لئن كنتم أصبحتُم مُستيقنين أن الله عز وجل قد تقبل منكم هذا الشهر، لقد كان ينبغى لكم أن تُصبحوا مشاغيلَ عمَّا أنتم فيه بِطلب الشكر، وإنْ كانت الأخرى خائفين[2] ألَّا يكونَ قد تُقُبِّلَ منكم، لقد كان ينبغى لكم أن تكونوا أشْغَل فِكرًا عما أنتم فيهِ اليوم.

فى معنى آية :

قال على بنُ صالح فى قوله عزَّ وجل:

﴿ لئن شَكرتُمْ لأزِيدنَّكُمْ ﴾[3] قال : أى مِنْ طاعتى.

دعاء فى جوف الليل :

عن عنبة بن الأزهر قال : كان محاربُ بن دثار قاضى أهل الكوفة قريبَ الجوارِ منى فربما سمعتُه فى بعض الليل يقول ويرفع صوته:

أنا الصغيرُ الذى ربَّيته فلك الحمدُ.

وأنا الضعيفُ الذى قوَّيته فلك الحمد.

وأنا العارى الذى كسوتَه فلك الحمد.

وأنا الفقيرُ الذى أغنيتَه فلك الحمد.

وأنا الساغبُ[4] الذى أشبعتَه فلك الحمد.

---

١ ـ أى ثياب العيد وهيئة الفرح والسرور.

٢ ـ أى تصبحوا خائفين.

٣ ـ سورة إبراهيم الآية ٧.

٤ ـ الساغب : الجائع.

وأنا المسافرُ الذى صحِبتَه فلك الحمدُ.

وأنا الغائبُ الذى أدَّيتَه[1] فلك الحمد.

وأنا الراجِلُ الذى حملتَه فلك الحمد.

وأنا المريض الذى شفيتَه فلك الحمد.

وأنا الداعى الذى أجبتَه فلك الحمد.

ربَّنا ولك الحمدُ حمدا لك على كلِّ نعمة.

نعم محدقة:

حدَّثنى على بن الحسن سمعتُ أبا طالب يقول فى كلامه: أُحيط لك الأنفُ فأقامه وأتمَّه فأحسن تمامه، ثم أدار منك الحدقة فجعلها بجفون مطبقةٍ وبأشفارٍ معلَّقةٍ، ونقلك من طبقةٍ إلى طبقة، وحنَّن عليك الوالدين برقةٍ وَمِنَّةٍ فنعَمُهُ عليك مُورِقةٌ، وأياديه بك مُحدِقةٌ.

سُمِعَ الحسنُ إذا قعد فى مجلسه قال: اللهم لك الحمدُ بما بسطتَ رِزقَنا وأظهرت أمتَنا وأحسنتَ معافاتِنا ومِنْ كلِّ ما سألناك مِنْ صالح أعطيتَنا فلك الحمدُ بالإسلام، ولك الحمدُ بالأهل والمالِ، ولك الحمد باليقين والمعافاة.

كان بعض العلماء إذا تلا:- ﴿وإنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللّهِ لا تُحْصُوها﴾[2].

قال: سبحان اللّهِ، مِنْ ثَمَّ ما[3] جعل فى أحد من معرفةِ نِعَمِهِ إلا المعرفَة بالتقصيرِ عن معرفتِها، كما لم يجعل فى أحدٍ مِنْ إدراكه أكْثَرَ من العلمِ أن لا يدركَهُ، فجعل معرفةَ نِعَمِهِ بالتقصيرِ عن معرفتِهَا شكراً كما.....[4] عَلَّمَ العالمين أنهم لا يُدْرِكُونه، فجعله إيماناً علماً منهُ أن العبادَ لا يُجَاوزون ذلك.

---

١ - أى الغريب المسافر الذى أرجعته بفضلك إلى أهله وبلده.

٢ - سورة النحل آية ١٨.

٣ - زيدت - ما - لتستقيم العبارة.

٤ - بياض فى الأصل.

أيهما أفضل :

قال صالح بن مسمار: ما أدرى أنعمتُه علىّ فيما بسطَ علىّ أفضلُ أم نعمتُه فيمَا زَوَى عنِّى؟.

حديث نبوى :

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «خصلتان من كانتا فيه كتبه اللّهُ صابرا شاكرا ومَنْ لم يكونا فيه لم يكتبه صابرا ولا شاكرا: مَنْ نَظَرَ فى دينه إلى مَنْ هو فَوْقَه فاقتدى به، ومَنْ نَظَرَ فى دنياه إلى مَنْ هو دونَه، فحمِدَ اللّهَ على ما فَضَّلهُ به عليه كتبه اللّهُ صابراً شاكراً، ومَنْ نَظَرَ فى دينه إلى مَنْ هو دونه ونظر فى دنياه إلى مَنْ هو فوقه فأَسِفَ على ما فاتَه لم يكتبْهُ اللّهُ لا صَابِراً ولا شاكراً».

أربع خصال :

عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : «أربعُ خصالٍ من كنَّ فيه بنى الله له بيتا فى الجنة:

من كان عصمةُ أمرِه لا إلـه إلا الله، وإذا أصابته مصيبة قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وإذا أُعطِىَ شيئا قال: الحمدُ لله، وإذا أذنب ذنبا قال: أستغفر الله».

العبد الشكور :

عن مجاهد: أنه كان نوح عبدا شكورا؟[1] قال: لم يأكل شيئا قط إلا حمد اللّهَ ولم يشرب شرابا قط إلا حمد الله، ولم يمس شيئا قط إلا حمد الله عليه، ولم يبطِشْ بشىءٍ قط إلا حمد الله عليه، فأثْنَى اللّهُ عز وجل عليه: إنه كان عبدا شكورا[2].

---

١ ـ يبدو أن هناك سؤالا حذف أى سئل لماذا سمى نوح عبدا شكورا؟.
٢ ـ قال تعالى من سورة الإسراء (ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا) آية ٣.

ورُوى كان نوح عليه السلام إذَا أكلَ قال: الحمدُ لله وإذا شرب قال: الحمد لله، وإذَا ركبَ قال: الحمد لله فسمَّاه اللّهُ عبدا شكورا.

قال بعضُ الحكماء: «لو لم يُعَذِّب اللّهُ عز وجل على معصيتِه لكان ينبغى أن لا يُعْصَى لشكرِ نعمته».

«تم كتاب الشكر لابن أبى الدنيا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين آمين».

فصل فى :

الحمد والشكر

﴿ الحَمْدُ لِلَّه الَّذى هَدَانا لِهَذا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾.

الأعراف آية ٤٣



من كتاب الله العزيز :

قال الحق تبارك وتعالى:

﴿ومِنْ رحمتِه جَعَلَ لكُمُ الليلَ والنهارَ لِتَسْكُنوا فيه وَلِتبتغوا مِنْ فَضْلِه ولعلكُمْ تَشْكُرون﴾[1].

﴿واللّهُ أخْرَجَكُمْ مِنْ بُطونِ أمَّهاتِكُمْ لا تعلَمون شيئا وجَعَلَ لكُم السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ لعلكُمْ تشكُرون﴾[2].

﴿. . . فكُلوا مِمَّا رزقَكُمُ اللهُ حلالاً طيِّباً واشْكُرُوا نعمةَ اللهِ إن كنتُم إياه تعبُدُون﴾[3].

﴿وَمَا يَسْتَوِى البَحْرَانِ هذَا عذبٌ فراتٌ سَائغٌ شرابُه وهذا ملحٌ أُجَاجٌ، ومنْ كُلٍّ تأكُلُونَ لحماً طَرِيا وتَسْتخرجُونَ حِليةً تلبسُونَهَا وتَرَى الفلكَ فيه مواخِرَ لِتَبتغوا مِنْ فَضْلِه، وَلَعَلَّكُمْ تشكُرُون﴾[4].

﴿ما يفعَلُ اللّهُ بِعَذابِكُمْ إنْ شَكَرْتُم وآمنتُمْ، وكَانَ اللّهُ شاكراً عليماً﴾[5].

﴿وما كان لنفسٍ أنْ تَموتَ إلا بإذْنِ الله كتاباً مؤجَّلا ومَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنيا نُؤْتِهِ مِنْهَا ومَنْ يُرِدْ ثَوابَ الآخرة نُؤْتِه منْها وَسَنَجْزِى الشَاكِرين﴾[6].

﴿وإن منْ شىءٍ إلا يُسبِّحُ بحمدِه﴾[7].

﴿وسَبِّحْ بِحمدِ ربِّكَ قبلَ طُلوعِ الشمسِ وقبلَ غروبِها ومِنْ ءانـآء الليلِ فسبِّحْ وأطرَافَ النهارِ لعلَّك تَرْضَى﴾[8].

---

١ - سورة القصص آية ٧٣.

٢ - سورة النحل آية ٧٨.

٣ - سورة النحل آية ١١٤.

٤ - سورة فاطر آية ١٢.

٥ - سورة النساء آية ١٤٧.

٦ - سورة آل عمران آية ١٤٥.

٧ - سورة الإسراء آية ٤٤.

٨ - سورة طه آية ١٣٠.

﴿ولقدْ آتَيْنَا لقمانَ الحِكمةَ أنِ اشْكُرْ للّهِ ومَنْ يشكُرْ فإنَّمَا يشكُرُ لنفسِهِ ومَنْ كَفَرَ فإن اللّهَ غنيٌّ حميدٌ﴾[1].

﴿أَلَمْ تَرَ أنَّ الفُلْكَ تَجْرِى فى البحرِ بنعمةِ اللّهِ ليُرِيَكُمْ من آياتِهِ إنَّ فى ذلكَ لآياتٍ لكلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[2].

﴿وقلِ الحَمدُ للهِ الذى لم يتَّخِذْ وَلداً ولم يَكُنْ له شريكٌ فى الملكِ ولم يكنْ له ولىٌّ من الذلِّ وكَبِّرهُ تَكْبِيراً﴾[3].

***

من أحاديث الرسول ﷺ :

«أَحَبُّ الكلامِ إلى الله تعالى أربعٌ:

سبحان اللّهِ، والحمد لله، ولا إلـه إلا الله، والله أكبر، لا يضرُّك بأيِّهن بدأْتَ».

«لئِنْ أقولُ: سبحان اللّهِ، والحمد لله، ولا إلـه إلا الله، والله أكبر أحب إلىَّ مما تطلع عليه الشمس».

«إذا قلتَ الحمدُ للّهِ ربِّ العالمين، فقد شكرتَ اللّهَ، فزادَكَ».

عن الحسن، عن الأسود بن سريع قال : قلتُ يا رسولَ اللّهِ: «ألا أنشدُكَ مَحامِدَ حمِدْتُ بها ربى تبارك وتعالى» فقال ﷺ: «أمَا إنَّ ربَّك يُحب الحمدَ».

«إذا قالَ العبدُ الحمدُ للّهِ، قال ـ الله ـ صَدَقَ عبدى الحمدُ لِى».

«إن اللّهَ لَيَرْضَى عن العبدِ أن يأكلَ الأكلةَ فيحمدَهُ عليها أو يشرَبَ الشربةَ فيحمدَه عليها».

«ليس يتحسرُ أهلُ الجنةِ على شىءٍ إلا على ساعةٍ مرَّت بهم لم يذكروا اللّهَ عز وجل فيها».

---

١ ـ سورة لقمان آية ١٢.

٢ ـ سورة لقمان آية ٣١.

٣ ـ سورة الإسراء آية ١١١.

روى ابن ماجة عن ابن عمر أن رسولَ اللّهِ ﷺ حدثهم:

«أن عبداً من عباد الله قال: (يا ربِّ لك الحمدُ كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانِك» فَعَضَّلَتْ[1] بِالمَلَكين، فلم يدريا كيف يكْتُبانها، فصعدا إلى السماء فقالا:

يا ربَّنا إنَّ عبداً قد قال مقالةً لا ندرى كيف نكتبها؟[2] قال الله :ـ وهو أعلمُ بما قالَ عبدُه ـ ماذا قال عبدى؟

فقالا: يارب إنه قد قال: يارب لكَ الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

فقال اللّهُ لهما: اكتباها كما قال عبدى حتى يلقانى فأجزيَهُ بها»[3].

«أفضَلُ الذكر: لا إلـه إلا الله، وأفضلُ الدعاء: الحمدُ لله».

قال الترمذى: حسن غريب.

«الطهورُ شطرُ الإيمان، والحمدُ لله تملأُ الميزانَ، وسبحانَ اللّهِ والحمدُ لله تملآن ـ أو تملأ ـ مابين السماءِ والأرضِ».

«ما أنعم اللّهُ على عبدٍ نعمةً فعَلِمَ أنها من عند اللّه إلا كتب اللّهُ له شكرَها، وما علم اللّهُ من عبد ندامةً على ذنب إلا غفر الله له إنْ يسْتغفِرْ، وإن الرجلَ لَيَلْبَسُ الثوبَ فيحمدُ اللّهَ فما يبلغُ ركبتَه حتى يغفرَ له».

«كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان: سبحان اللّهِ وبحمده، سبحان الله العظيم».

***

الحمد كلمة كل شاكر:

قال ابن عباس رضى الله عنهما:

«الحمد كلمةُ كلِّ شاكرٍ»:

وإن آدم عليه السلام قال حين عطس: الحمد لله.

---

١ ـ أعضل الأمر اشتد، والمعضلات بتشديد الضاد الشدائد.

٢ ـ أى إنهم يسألون الله عن ثوابها وجزائها.

٣ ـ وهذا يدل على عظم ثوابها تفضلا من الله واحسانا.

وقال اللّهُ لنوح عليه السلام: ﴿فقُلِ الْحَمْدُ للّهِ الذى نجَّانا مِن القوم الظالمين﴾[1].

وقال إبراهيم عليه السلام:

﴿الحمدُ لله الذى وهبَ لِى على الكِبَرِ إسماعيلَ وإسحاقَ﴾[2].

وقال فى قصة داودَ وسليمانَ:

﴿وقالا الحمدُ للّهِ الذى فضَّلنا على كثيرٍ من عبادِه المؤمنين﴾[3].

وقال لنبيِّه محمدٍ ﷺ:

﴿وقُلِ الْحَمْدُ للّهِ الّذِى لم يتَّخِذْ ولداً﴾[4].

وقال أهلُ الجنةِ:

﴿الحمدُ لله الذِى أذْهَبَ عنَّا الحَزَنَ﴾[5].

﴿وآخِرُ دعْواهُم أنِ الْحَمدُ للّهِ ربِّ العَالمين﴾[6] فهى كلمةُ كلِّ شاكر.

فى معنى (الحمد لله):

قال شفيق بن إبراهيم فى تفسير «الحمد لله».

قال: هو على ثلاثة أوْجُه.

أولها - إذا أعطاك اللّهُ شيئا تعرف مَنْ أعطاك.

والثانى - أن ترضى بما أعطاك.

والثالث - ما دامتْ قوتُه فى جسدك ألا تعصيَه.

فهذه شرائط الحمد.

---

١ - سورة المؤمنون آية ٢٨.

٢ - سورة إبراهيم آية ٣٩.

٣ - سورة النمل آية ١٥.

٤ - سورة الإسراء آية ١١١.

٥ - سورة فاطر آية ٣٤.

٦ - سورة يونس آية ١٠.

عظة :

ما بالُنا ندعو فلا يُستجَاب لنا؟

سُئل إبراهيم بن أدهم هذا السؤال فقال:

لأنكم عرفتُم اللَّهَ فلم تُطيعوه.

وعرفتم الرسولَ فلم تتبعوا سنته.

وعرفتُم القرآنَ فلم تعملوا به.

وأكلتم نِعَمَ اللَّهِ فلم تُؤدُّوا شكرَها.

وعرفتم الجنَّةَ فلم تطلبوها.

وعرفتم النَّارَ فلم تهرُبوا منها.

وعرفتم الشيطانَ فلم تُحاربوه ووافقتموه.

وعرفتم المَوْتَ فلم تستعدوا له.

ودفنتم الأمْواتَ فلم تَعتَبروا.

وتركتم عيوبَكم واشتغلتُم بعيوبِ الناس.

من دعاء نبوى مأثور :

«واجعلْنا شاكرين لنعمتِك مُثْنِين بها قَابِليها وأَتِمَّها علينا».

ارتباط النعمة بالشكر :

قال اللَّهُ تعالى: «لَئِنْ شكَرتُم لأزِيدنَّكُم».

وقال عمرُ رضى الله عنه: أهلُ الشكرِ فى مزيدٍ من الله تعالى لهذه الآية.

وقيل: لا زوالَ للنعمةِ إذَا شُكِرَتْ، ولا بَقَاءَ لها إذَا كُفِرَتْ.

وقال ﷺ : «أوْطَدُ الناسِ نِعْمةً أَشَدُّهُم شُكرا».

تهنئـــة :

هَنَّأَ رجلٌ أخاه بولاية فقال :

إن النعمَ ثلاثٌ: فنعمةٌ هى فى حالِ كونِهَا، ونعمةٌ تُرجَى مستقبلةً، ونعمةٌ تأتِى غيرَ محتَسَبةٍ.

ـ فأبقى اللهُ لك ما أنت فيه .

ـ وحقق طمعَك فيما ترجوه .

ـ وتفضَّل عليك بما لم تحتسبه .

دعاء لصاحب معروف :

سألت بنت النعمان سعيد بن العاص حاجة فقضاها، فدعت له فقالت:

لا أزل اللهُ عنك نعمةً، ولا أحوجك إلى لئام الناس عند حاجة، وإذا زالت عن كريم نعمةٌ يجعلك اللهُ سببا لردها عليه.

وشكر أعرابى رجلا أولاه جميلا فقال له:

لا ابتلاك الله ببلاء يعجزُ عنه صبرُك، وأنعم عليك نعمةً يعجز عنها شكرُك.

وشكر رجل آخر على معروف فقال:

الحمد لله على توفيقه إياك فى إعطائى، وعلى توفيقه إياى فى مسألةِ مثلِك، أعاشك اللهُ صالحا.

الشكر على المعروف :

قال رسولُ اللهِ ﷺ :

« مَنْ أُهْدى إليه معروفٌ فقال لفاعله: جزاك اللهُ خيرًا، فقد أبلغ فى الثناء ».

الحال تنبئ عن المقال :

فى المَثلِ : « لسانُ الحالِ أفصحُ من لسان الشكر ».

إيجاب الشكر :

قال النبىُّ ﷺ :

« مَنْ كان عليه يدٌ فليكافئ عليها، فإنْ لم يفعل فلْيُثنِينَّ عليه، فإنْ لم يفعل فقد كفر النعمة ».

وقال رسولُ الله ﷺ : « مَنْ لم يشكر الناسَ لم يشكر اللهَ عزَّ وجل ».

ذم الكفران :

خطب نصرُ بنُ سيار فكان ممَّا قال:

« مَنْ أنْعمَ على قومٍ فلم يشكروه فدعا اللهَ عليهم استُجِيبَ له فيهم ».

قال رسولُ الله ﷺ :

« مَنْ أُولى معروفا فلم يجدْ إلاَّ الثناءَ فقد شكره، ومَنْ كتمه فقد كفَره ».

فى الحث على الشكر :

قال رسولُ الله ﷺ :

« أَشْكَرُ الناسِ لله عزَّ وَجَلَّ أَشْكَرُهُمْ لعباده، ومَنْ لم يشكرْ القليلَ لم يشكرْ الكثيرَ ».

- وفى التفسيرِ : « اِعْمَلُوا آلَ دَاودَ شُكْرًا »[1]

قالوا : الطاعاتُ كلُّها شكرٌ، وأفضلُ الشكرِ الحمدُ.

وفى قوله فى نوح عليه السلام : « إِنَّه كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ».

قالوا : كان لا يقومُ ولا يقعدُ، ولا يلبسُ ثوبًا، ولا يأكلُ ولا يشربُ إلا حَمْدَ اللهَ، فأثْنَى عليه اللهُ بذلك.

- سكتوب فى التوراة :

« اشْكُرْ لمن أنْعَمَ عليك، وأنْعِمْ على من شكركَ فإنه لا زوالَ للنعمةِ إذا شُكِرَتْ، ولا مُقامَ لها إذا كُفِرَتْ، والشكرُ زيادةٌ فى النعمِ ، وأمانٌ من الغِيَرِ »[2]

قال حذيفةُ بن اليمان :

« ما عظُمَتْ نعمةُ اللهِ على أحد إلاَّ ازداد حقُّ اللهِ عليه عِظَمًا ».

- كانتْ هند بنت المهلَّب تقول :

« إذا رأيتم النعمةَ مُسْتبدرةً[3] فبادروها بالشكر قبلَ حلول الزوال ».

- قصـــة :

يُرْوى أن عبدالله بن العباس - وكان من الأجواد - أمر لسائلٍ سأله بعشرةِ آلاف درهم ، فصُبَّتْ فى حِجْره ، فتخرَّق ثوبُه فبكى ، فقال له : أَعَلَى قميصِك تبكى ؟

---

١ - سورة سبأ آية ١٣.

٢ - الغير : صروف الزمان وتقلباته.

٣ - أى مقبلة عليكم مسرعة، فبادروها : أى فأسرعوا إلى شكرها.

فقال : لا، ولكن على ما يأكلُ الترابُ منك؟

فقال : شكرُكَ أحسنُ من صنيعتنا، يا غلامُ أعْطِه مثلَها.

بقدر الاستحاق :

- قال أمير المؤمنين :

« الثناءُ من غير الاستحقاقِ ملقٌ، والتقصيرُ عن الاستحقاقِ عِيٌّ[1] وحسد ».

- قال رجل لابن الأعرابي :

إنَّ نصيبا يقول :

إنَّما تُمْدَح الرجالُ على قدرِ ثوابها.

فقال : إنَّ العربَ تقول: على قدرِ ريحِكم تُمطَرُون.

ذم من كفر النعمة :

قال اللهُ تعالى: ﴿ قُتِلَ الإنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ! ﴾[2]

وقال : ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَكُور ﴾[3]

- ومن الحديث الشريف:

« إذَا جَمَعَ اللهُ الخلائقَ يومَ القيامةِ قال لعبدٍ:

هل شكرتَ فلانًا؟ فيقول: يا ربِّ علمتُ أنك المنعمُ فشكرتُكَ، فيقول اللهُ تعالى: لم تشكرْنى إذا لَمْ تشكُرْ مَنْ أجريتُ ذلك على يدِه ».

- فلك الحمدُ ربى ولك الشكرُ ونسألُك العونَ على طاعتِك.

١ - عى: العى ضد البيان ومعناه العجز وعدم الاهتداء لوجه الصواب.
٢ - سور عبس آية ١٧.
٣ - سورة سبأ آية ١٣.

يارب

ابتهال

« إنَّ المؤمنين هم العَجَّاجون[1] إلى الله الليلَ والنهارَ »
واللهِ ما يزالُ المؤمنُ يقول: ربَّنا، ربَّنا فى السِرّ والعلانيةِ
حتى استجاب لهم فى السر والعلانية.

« **قتادة** »

١ ـ العج رفع الصوت، ورفع الصوت بالدعاء والذكر له مواطن خصها الشارع الحكيم ومنها التلبية للحج والأذان والإقامة، ويقصد قتادة الملحّين فى الدعاء لا يفترون.

يَـارب

يا رب .. لك الحمدُ كما ينبغى لجلالِ وجهك وعظيم سلطانك.

رب أوْزِعْنى أنْ أَشْكُرَ نعمَتَك التى أنْعَمْتَ علىَّ وعلى والدىَّ وأنْ أعملَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وأَصْلِحْ لِى فى ذُرِّيتى إنى تبتُ إليك وإنى مِنَ المسلمين.

رب أوْزِعْنِى أنْ أشْكُرَ نعمَتَك التى أنعمْتَ علىَّ وعلى والدىَّ وأنْ أعَمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وأدْخِلْنِى برحمتِك فى عبادِك الصالحين.

يا رب .. لك الحمدُ كلهُ، ولكَ الملكُ كلُّه، وبيدِك الخيرُ كلُّه، وإليك يرجِعُ الأمْرُ كلُّه علانِيتُه وسرُّه، أهلُ الحمدِ أنتَ، لا إله إلا أنت، إنك على كلِ شىء قدير.

يا رب .. اغْفِرْ لى جميعَ ما سَلَفَ من ذنوبى، واعْصِمْنى فيما بَقِىَ مِنْ عمْرِى، وأعـنِّى على عملٍ ترضى به عنى.

يا رب .. تظاهَرَتْ علىَّ منكَ النعمُ، وتكاثَفَتْ منى عندك الذنوبُ، فأحمدُك على النِّعم التى لا يُحصيهَا أحدٌ غيرك، وأستغفِرُك من الذنوبِ التى لا يحيطُ بها إلا عفوُكَ.

يا رب .. إنى أعوذُ بك من حلول النقمِ، وزوالِ النعم، وتحوُّل العافيةِ.

اللهم هَبْ لى بنين أتقوَّى بهم على عشيرتى، ومالاً أُرْغِمُ به حسَّادى، واجعلنى مليًّا من العقل والدينِ، يا أرحمَ الراحمين.

يا رب .. اجْعَلْنِى شاكرًا لنعمِك، راضيًا فى كلِّ حالاتى عنك، مؤمِّلا لفضلِك.. يا من تُحب العفوَ والإحسَان وتأمر بهما اعفُ عنى وأحسِنْ إلىَّ، فإنك بالذى أنت له أهلٌ من عفوِك، أحقُّ مِنى بالذِى أنَا له أهلٌ من عقوبتِك.

اللهم ثبِّتْ رجاءَك فى قلبى، واقطَعْه عمَّن سِواك حتى لا أرجوَ غيرَك ولا أستعينَ إلا إياك.

يا رب .. ظلمتُ نفسى فاغفِرْ لى يا خيرَ الغافرين، ويا أرحمَ الراحمين.

يا ربِّ . . رب اجعلْنى شكورًا، واجعلنى صبورًا، واجعلنى فى عينى صغيرًا، وفى أعين الناس كبيرًا.

يا رب . . احجُبْنِي عن السَّرَفِ، وقوِّمنِي بالاقتصادِ وعلِّمْنِي حسنَ التقدير، وأجْرِ من أسبابِ الحلالِ رزقى، وَوَجِّه فى أبواب البِرِّ نفقتى، واجعَلْ ما خوَّلتَنى من عطائك وُصْلةً إلى قربك، وذريعةً إلى جنتك.

يا رب . . هبْ لِى غنىً لا يُطغينى، وصحةً لا تُلهينى، وأعِذنى من فقرٍ يُنسينى.

يا رب . . أغنِنى عمَّن أغنيتَه عنى، وسهِّلنى لمن أحوجتَه إلىّ، واجعلنى لأنعُمِك من الشاكرين.

يا رب . . عافنى فى نفسى فإنها أعزُّ الأنفسِ علىَّ، وفى أولادى فإنهم لحمى ودمى، وفى عشيرتى فإنهم عِزِّى وناصرى، وفى جماعةِ المسلمين فإن صلاحى لا يتمُّ إلا بصلاحهم.

اللهم أستودعُك ما أحاطتْ به شفقتى وعجزَتْ عنه قوَّتى.

يا رب . . اجعلنى أفقرَ خلقِك إليك، وأغناهم بك.

يا رب . . أصلحنى قبلَ الموتِ، وارحمنى عند الموتِ، واغفرْ لى بعدَ الموتِ.

يا رب . . اجعلنى أُعَظِّمُ شكْرَك، وأُكْثِرُ ذِكْرَك، وأتَّبعُ نصيحتَك، وأحفظُ وصيتَك.

يا رب . . أحمدُك يا إلهِى معترفا بالتقصيرِ فى شكرك، وأستغفرك يا رحمن يا رحيم طامعا فى عفوك، وأتوكلُ عليك فاقةً إلى كفايتك.

يا رب . . اجعل لى رزقًا واسعًا، واجعلنى به قانعًا، وهَبْ لى من غِنَاك ما لا يقدر عليه سِواك، وأعِذْنى من بَطَرِ الغِنى، ومذلةِ الفقرِ.

يا رب . . انفعنى يا إلهى بما علَّمتنى، وعلِّمنى ما ينفعنى، وزِدْنى عِلْمًا، والحمدُ لله على كلِّ حال، وأعوذُ بالله من حالِ أهِل النار.

يا رب . . اللهم إنى أسأَلُك الثباتَ فى الأمر، وأسألك عزيمةَ الرُّشْدِ، وأسألك

شكْرَ نعمتكَ، وحسنَ عبادتِك، وأسألك لساناً صادقًا، وقلباً سليماً، وأعوذُ بك من شرِّ ما تعلمُ، وأستغفِرُكَ مِمَّا تعلمُ إنك أنت علاَّمُ الغيوب.

يا ربِّ .. أعنِّي على ذِكْرِكَ، وشكْرِكَ، وحُسْنِ عبادتِكَ.

يا ربِّ .. لكِ الحمدُ بالإسلام، ولكَ الحمدُ بالقرآن، ولكَ الحمدُ على نعمِكَ التى لا نقوى على إحْصائِها.. لكَ الحمدُ بالأهلِ والمالِ والمعافاةِ.

يا ربِّ .. أكمِلْ لى دينى، وأتمِمْ علىَّ نعمتَك، واجْعَلنى عبدًا شكورًا، عبدًا كريمًا.

يا ربِّ .. أسألُك الهُدَى والتقَى والعفافَ والغِنى وأن تجعلَنى من عبادِكَ الشاكرين.

يا ربَّ العالمين أنت القريبُ، وأنت الحبيبُ، وأنت السميعُ المجيبُ، وصلِّ اللهم على الحبيب المصطفى محمدِ بن عبدِاللهِ إمَامِ المتقين، وصاحبِ لواءِ الحمد يومَ الدِّين وعلى آله وأصحابه ومن اقتدى به واهتدى بهديه وترسَّم خُطاه فكان من الشاكرين.

آمـــين ...

كلمة ختامية :

لَئِن شَكَرتُم لأَزِيدَنَّكُم [1]

بقلم

أحمد بن محمد طاجون

1 - سورة إبراهيم آية ٧

قال الله تعالى :

﴿وَمَنْ يُرِدْ ثوابَ الدُّنيا نُؤْتِهِ منْها وَمَنْ يُرِدْ ثوابَ الآخِرةِ نُؤْتِهِ منْها وسَنجْزِى الشَّاكرِين﴾[1]

اللهُ عزَّ وجل أنعم علينا ، ونعمُه لا تُعَدُّ ولا تُحْصى :

نعمةُ الخَلْقِ والإيجاد ، نعمةُ الحنانِ الذى ألقاه فى قلبِ الوالدين لطفلهما وهو فى ضعْفِه وحاجتِه ، نعمةُ الحواس والجوارحِ ، ونعمةُ العقلِ الذى ميَّز به اللهُ الإنسانَ عن سائِر الحيوان.

أرسل الرسلَ ليُرشدونا إلى الحقِّ وخالصِ الإيمان.

مَنَحنا القوةَ والعافيةَ وصحةَ البدنِ وسلامةَ الأعضاءِ.

خلق للإنسانِ عينين ، ولساناً وشفتين ، وعلَّمه البيانَ والإفصاحَ عن قصدِه بالكلام ، بَسَط لنا الأرضَ فيها أنهارٌ جاريةٌ وآبارٌ وعيونٌ لنجدَ الماءَ العذْبَ الذى يَرْوى الظمأَ وينتفعُ به الإنسانُ فى معاشه ، وفيها كلُّ ما ينفعُ الإنسانَ من زروعٍ ومعادنَ وموادَّ أوليةٍ ثم إنهُ جعلها سهلةَ المسالكِ لتيسير حياةِ الإنسانِ عليها وتنقُّله فى أرجائِها طلباً للرزقِ وسعياً وراءَ العيشِ.

وخلق لنا سبحانه سماءً تُظِلنا فيها الشمسُ والقمرُ والنجومُ مسخرات بأمره تُمدُّنا بالنورِ والضياءِ والحرارةِ ، وفيها جمالٌ وجلالٌ وقدرةٌ وإتقانٌ فسبحان الخالقِ المنعِمِ الرحمنِ الرحيمِ.

أخضع اللهُ للإنسان أغلبَ الكائناتِ ، وسخَّر له الحيوانَ ، وفضَّله على كثيرٍ من خلْقِه .. ثم بنعمتِه وفضلِه هدَى المؤمنين إلى الإسلام.

يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿هُوَ الَّذى خَلَقَ لكُمْ ما فى الأرْضِ جَميعًا﴾[2].

---

١ - سورة آل عمران آية ١٤٥

٢ - سورة البقرة آية ٢٩

ويقول عز وجل :

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصوها إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]

ويقول سبحانه :

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصوها إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كفَّار﴾[2]

الواجب علينا :

نعمُ اللهِ كثيرةٌ ، ورحمتُه بنا واضحةٌ بيِّنة ، فوجب علينا أن نشكرَ المنعمَ مقرِّينَ بفضله ، مؤمنين بقدرتِه ورحمتِه ، مُعترفين بالعجزِ عن الوفاء بشكرِ هذا الفيضِ من النعم الذى نُحِسُّه في جسومنا ونلمسه فيها حولنا.

واللهُ سبحانه وتعالى غنىٌّ عن عباده ، وهبهم الخيرَ وهو سبحانه ليس فى احتياج إليهم :

﴿يا أَيُّها الناسُ أنتم الفقراءُ إلى اللهِ واللهُ هو الغنىُّ الحميدُ﴾[3].

وقد أمرنا اللهُ بشكره لنؤمِنَ بفضلِه ، ولنعلمَ أن كلَّ خير فهو مُعْطيه وكلَّ فضلٍ فهو من عنده .

﴿وَمَا بِكُم مِن نِعمةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[4].

أمر اللهُ عبادَه بشكره ، ليعلموا أن العبدَ ليس بيده أمرٌ ولا نهىٌ ، وإنَّمَا هو سببٌ من الأسباب ، وأن الناسَ لا يملكون لأنفسِهم نفعا ولا ضرا ولا حياةً ولا موتا ، وأن اللهَ وحده هو الرزَّاقُ ذو القوةِ المتين ، يعطى ويمنعُ ويبسط الرزقَ لمن يشاء ويَقْدِر ، ويغنى ويفقر .

---

١ - سورة النحل آية ١٨

٢ - سورة إبراهيم آية ٣٤

٣ - سورة فاطر آية ١٦

٤ - سورة النحل آية ٥٣

فالشكرُ تقديسُ الله وتوحيدُه وإفرادُه بالعبودية وتنزيهُه وتمجيدُه ، ولذلك قرن اللهُ الشكرَ بالذكر ، وأمرنا به فقال عز وجل :

﴿فاذْكُرونى أذْكُركم واشْكُروا لِى ولا تَكْفُرون﴾[1] .

وقال سبحانه وتعالى :

﴿فخذْ ما آتيْتُكَ وكنْ مِن الشَّاكِرين﴾[2] .

وقد جعل اللهُ الشكرَ مفتاحَ كلامِ أهلِ الجنةِ فقال تعالى :

﴿وقالوا الحمدُ للهِ الذى صَدَقَنا وعْدَه﴾[3] .

وقال سبحانه :

﴿وآخِرُ دعْواهُم أنِ الْحَمْدُ للهِ ربِّ العالمين﴾[4] .

الشكر بالقلب واللسان والجوارح :

وشكرُ القلبِ محبةُ اللهِ والإقرارُ بالعبودية له وحده والإيمانُ بأن له كلَّ صفاتِ الكمالِ ونعوتِ الجلالِ وأنه المنعِمُ المتفضل الرزَّاق الوهاب وأنه لا معْبودَ بحق سِواه .

وشكرُ اللسانِ ثناءٌ وحمدٌ وذكرٌ لله عز وجل وإمساكٌ عن فضولِ الكلام ولغوِه وما لا خيرَ فيه .

وشكرُ الجوارحِ أنْ يُذْئِبَ المرءُ جوارِحَه فى خدمةِ مولاه سبحانه وتعالى وأن يُخْضِعَها لمقْتَضى أمرِه ونهْيه .

فالشكرُ صرفُ النعم فيما خُلِقَتْ له ، واستعْمَالُها فيما شُرِعَت لأجله ، لتظهر فائدتُها ، وتتمَّ حكمتُها ، ويجنىَ العبادُ منافعَها فإنْ شكَرَ المرءُ ربَّه بقلبه ولسانِه وعملِه فهو من الفائزين .

---

١ - سورة البقرة آية ١٥٢

٢ - سورة الأعراف آية ١٤٤

٣ - سورة الزمر آية ٧٤

٤ - سورة يونس آية ١٠

يقول الحقُّ تبارك وتعالى :

﴿وإذْ تأذَّنَ ربُّكُمْ لئِن شَكَرتُمْ لأزيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفرْتُمْ إنَّ عَذَابِي لَشَدِيد﴾[1]

وبقوله سبحانه :

﴿وسَنَجْزِى الشَّاكِرِين﴾[2]

قال بعض الصالحين :

«كلُّ نعمةٍ لا تُقَرِّبُ مِنَ اللَّهِ فهىَ بليَّةٌ» .

ورُوى أن النبىَّ صلى الله عليه وسلم قال :

«مَنْ صلى الصلواتِ الخمسَ فقد شكر اللهَ ، ومَنْ دعا لوالديه فى أدبارِهِما فقدْ شَكَرَهُما» .

ومعنى ذلك أن العبدَ المؤمن يوجِّهُ النعمةَ وِجْهَةَ الخيرِ والنفع ويستعملُها فيما يُسْعِده ويُسْعِد العبادَ ، وبالشكرِ تستقيمُ الأمورُ ، وتدوم النِعمُ ، وتنعدم الشرورُ .

قال عزَّ وجلَّ على لسان سليمانَ عليه السلامُ :

﴿قال هذا مِن فضْلِ ربِّـى ليبْلُوَنى أَأَشْكُر أمْ أكْفُر ومَن شَكرَ فإنَّما يشكرُ لنفسِه ومن كَفرَ فإنَّ ربِّـى غنى كريم﴾[3]

واللهُ سبحانه لا تضره أعمالُ الجاحدين المنكرين لفضلِه الكافرين بنعمتِه ، كما لا تنفعُه طاعةُ الصالحين المؤمنين الشاكرين فالشاكرُ تنفعه طاعتُه وأعمالُه الصالحة .

قال اللهُ تعالى :

﴿إن تكْفروا فإنّ اللهَ غنىٌّ عنكُم ولا يَرضى لعبادِه الكفْرَ وإن تشكروا يَرْضَهُ لكُم﴾[4]

---

١ - سورة إبراهيم آية ٧

٢ - سورة آل عمران آية ١٤٥

٣ - سورة النمل آية ٤٠

٤ - سورة الزمر آية ٧

إنَّ نِعَمَ اللهِ علينا لا تُعَدُّ ولا تُحْصى وواجبُ العاقلِ :
- أن يكونَ إيمانُهُ بالله صحيحا .
- أن يكونَ عاملا بما أمر اللهُ مُجتنبا معاصِيَ اللهِ .
- ألّا يغفلَ قلبُه ولسانُه عن ذكر الله .
- أن يُوَجِّهَ قُوتَه ومالَه وحيلتَه وجهةَ الخيرِ والنفع .
- أن يحمدَ اللهَ على كلِّ حال .

قال الحبيبُ المصطفى صلى الله عليه وسلم حين سئل عن إجهادِه نفسَه فى العبادةِ وقد غفر اللهُ له ما تقدم من ذنبه وما تأخَّر :

«أفلَا أكونُ عبداً شكوراً» ؟

وقال صلى الله عليه وسلم :

«مَنْ أصبح آمِناً فى سِرْبِهِ ، مُعَافَىً فى بدنِه ، عنده قُوتُ يومِه فكأنما حِيزَتْ له الدنيا بحذافِيرِها» .

نسأل اللهَ عز وجل أن يعينَنا على ذكره وشكره وحسن عبادته .

أحمد بن محمد طاحون

عام ١٣٩٨ هجرية - ١٩٧٨ ميلادية

صدر لأحمد بن محمد طاحون :

- مرشد الدعاة إلى الله (دراسة وتطبيق).
- رياض الفالحين ومنار السالكين.
- أمثال ونماذج بشرية من القرآن العظيم.
  «الكتاب الأول، والثانى، والثالث، والرابع والخامس»
- الكوكب المنير فى أدب النفس وتهذيب الضمير.
- هداية المريد لتحصيل معانى كتاب: «تجريد التوحيد المفيد» للإمام المقريزى (طبعة منقحة ومزيدة).
- الفائق فى الأخلاق والتربية [تنقيح وتلخيص كتاب فضل الله الصمد شرح «الأدب المفرد» للإمام البخارى].
- أذكار ودعوات مباركات.
- إلى البرهان يا أولى الألباب.
- مع القرآن الكريم.
- يوم الفرقان.
- فى نور سورة الفرقان.
- زاد الأتقياء من وصايا الأنبياء.

رسائل

- كيف نربى ناشئتنا؟
- طوبَىٰ للغرباء.
- المخدرات شرٌّ مستطير.
- من حِكَم التحريم بالرضاع وأحكامه.
- الرجل والمرأة «الحقوق والواجبات».
- أم القرآن «من أحكامها وبركاتها»
- الإسلام والعمل

تحت الطبع

- الزهورِ النديّة فى «خصائص وأخلاق خير البرية»: . «تلخيص وتهذيب المقصد الثالث من كتاب المواهب اللّدنـيّة بالمنح المحمدية» للإمام القسطلانى.

الفهرست

مطبعة التراث الإسلامى
رقم الإيداع : ٣٧٧٧/ ٩٤
الرقم الدولى : ٠-١٦٨-٢٦٠-٩٧٧

هذا الكتاب

شُكر المنعم سبحانه وتعالى واجب ، فبالشكر تثبت النعم وتزداد بفضل الله عز وجل.

إن الأمم التى غفلت عن شكر المنعم الوهاب الرزاق ، وجحدت الفضل ، وعاندت الرسل أذاقها الله لباس الجوع والخوف والمرض بسبب الغرور والإعراض.

وهذا الكتاب: ينبه القلوب ، ويوقظ النفوس من الغفلة ، ويلفت إلى وجوب تقدير النعم ، ووجوب توجيه القلب ، واللسان ، والجوارح لشكر الله عز وجل: بالعقيدة الصحيحة ، وطاعة الرب ، والإكثار من حمده سبحانه وشكره ، ذِكْرِه ، ففى ذلك الخير للفرد والجماعة.

وقد جمع ابن أبى الدنيا رضى الله عنه من توجيهات الرسول ﷺ ، وأقوال السلف وَحِكَمهم ، وأعمالهم ، ما يعين على تحقيق الغاية ، والتذكير بالنعم الظاهرةِ والباطنةِ ، والتنبيهِ إلى سوء عاقبةِ الغفلة.

ففى قراءة هذا الكتاب وتدبُّر مافيه متعةٌ ذهنيةٌ ونفسيةٌ ، وتربيةٌ خُلقية عالية ، حتى قال بعضُهم عند صدور طبعاتِه السابقة: إنه لا غِنى لكل بيتٍ عن هذا الكتاب.

نسأل الله الكريمَ أن ينفعَ به ،



مكتبة التراث الإسلامي
ت : ٣٩١١٣٩٧ ـ ٣٩٢٥٦٧٧ ـ فاكس : ٣٩١٣٤٠٦

هدية من الشيخ صالح بن عبد الله العمودي
غفر الله له ولوالديه